تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

كلمات الله في معركة السلام

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص 6

بل الإسلام حمى الأديان الأخرى

د. عبد السلام الهراس ص 16

بسم الله الرحمن الرحيم

المحجة

almahajjafes@gmail.com

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
12 صفر الخير 1432هـ - 17 يناير 2011م

جامعة نصف شهرية
الثمن : 3 دراهم

العدد : 351

قيم الهجرة سبيلنا إلى استنهاض الأمة

العلامة عبد الحي عمور

أسس بناء الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. عبد الحق ابن المجدوب

دروس وعبر من قصة آدم عليه السلام

د. مصطفى فوضيل ص 5

قانون المعيشة الضنك في القرآن الكريم

د. محمد راتب النابلسي ص 4

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين : تقسيم السودان محرم شرعا

ص 3

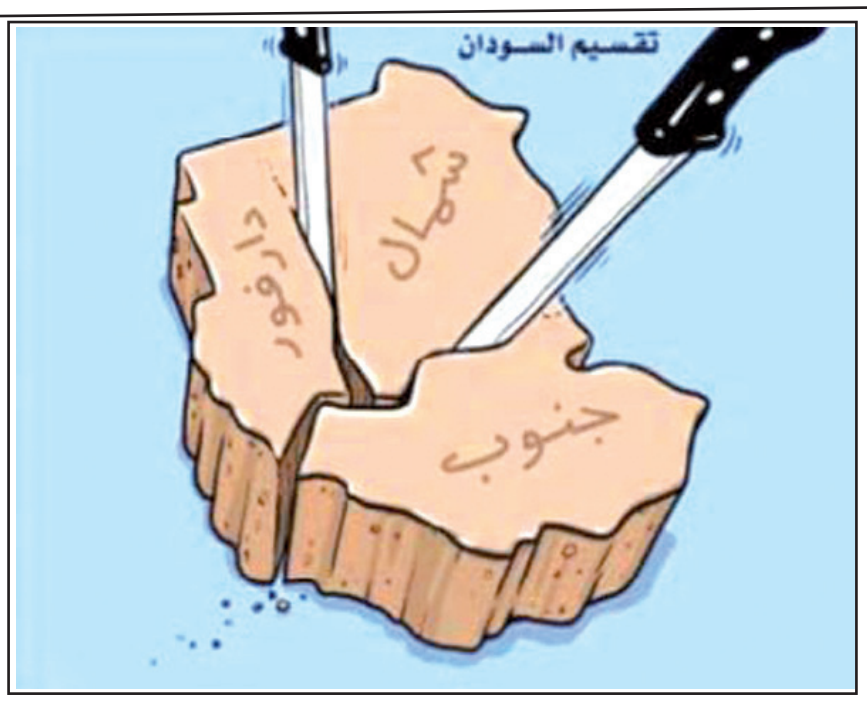

ألا إني قُسّمت يوم قُسّم السودان

ص 7

ذ. عبد القادر لوكيلي

مفهوم التوازن والوسطية في الإسلام

ذ. عبد المجيد بلبصير ص 10

أيهما أحق أن يُتَّبَع، استعمار يفرق أم دين يجمع؟!

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تستمر الأرض في دورانها ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**﴾(النمل : 88) فنشأ عن ذلك الزمان بساعاته وأيامه وشهوره وسنواته وأن تُحكَم أعمار الناس والدول به وتتخلل تلك الأعمار أحداث يجري بها القضاء على سطح الأرض أو في علاقات الناس فيما بينهم. والإنسان العاقل منذ كان وهو يستفيد من كل ذلك في دراسته للطبيعتين الأرضية والبشرية ويستخلص ويستنتج وبذلك ظهرت العلوم بمختلف أنواعها المرتبطة بالإنسان والمحيط الذي يدور به أو يعش فيه وتطورت هذه العلوم بحسب الحضارات التي عرفها الإنسان. وقد جرت عادة الناس في أغلب الأحيان أن يتساءلوا وهم يقفون عند رأس كل سنة كل بحسب ما يخوض فيه وخصوصا على مستوى الدول والشعوب عن النتائج ا لمحصل عليها وعن العبر والمواعظ المستفادة من أحداثها ووقائعها وعن استثمار كل ذلك لوضع تخطيط مستقبلي للسنة المقبلة.

والمسلمون بحسب ما رباهم عليه دينهم هم أولى من غيرهم بأن ينظروا باستمرار إلى أحوالهم العامة وإلى مرتبتهم ومكانتهم بين الشعوب والأمم في ميادين العلم والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة وأن يفكروا في وضع الخطط الكفيلة بأن ترفع من مستواهم كما يريد لهم دينهم وتجعلهم أعزة لا أذلة سادة لا عبيدا أصحاب علم وعقل وإبداع وذوق لا أصحاب جهل وبلادة وغفلة يعيشون في أمان على أنفسهم ودينهم وبلادهم وليس في خوف ورهبة. ومن بين ما ينبغي التفكير في أمره والتنبه إليه في أحوال المسلمين وواقعهم حالة الفرقة والتشتت التي تسودهم والتي عمق جذورها فيهم اقتسام المستعمرين لديارهم بعد أن تسنى لهم إضعاف الخلافة الإسلامية ثم اسقاطها فعوض أن يعود المسلمون إلى وحدتهم واجتماعهم بعد حصولهم على استقلالهم تمسك كل قطر بحدود أرضية خاصة به من صنع المستعمر بل ما يزال أعداء المسلمين يكيدون بشتى الوسائل للإجهاز حتى على ما هو موجود الآن لإضعافه والفتك به والزيادة في تشتيته بإحداث الخلافات والصراعات وإثارة العنصريات والعرقيات داخل بلاد المسلمين والتخطيط لضرب الرموز التاريخية التي لها مكانة في قلب كل مسلم كضرب مدينة بغداد وإذلال شعبها والمس بمآثرها. والمسلمون غافلون وغير واعين الوعي الكامل بما يخطط لهم في الخفاء من أنواع المكر والكيد وبشتى الوسائل التي تميت فيهم الهمم والعزائم وتنسيهم قيمهم الدينية العظيمة ومبادئهم السامية وتشغلهم بحب الدنيا والتمتع بالشهوات والملذات والحرص على المال وجمعه بمختلف الطرق والوسائل المشروع منها وغير المشروع وعلى مظاهر البذخ والترف وتغرقهم بأفلام العري والخلاعة والمجون فيتفشى الفساد بين الذكور والإناث. والاستعمار المقنع الذي يخطط دوما للحيلولة دون تحقيق أي تقدم أو ازدهار أو قيام أي شكل من أشكال الوحدة بين المسلمين هو الذي صنع بيديه، بثقافته وتكوينه وتحت رعايته وبسند منه أناسا رغبتهم شديدة في الرياسة والسلطة والمناصب الهامة والمحافظة عليها والتمسك بها بشتى الوسائل والحيل السياسية المخادعة لتمجيد ذواتهم وشخصياتهم و تضخيمها في أعين الناس إلى درجة توهمهم بأنه لا أحد يقدر أن يصل إلى مستواهم في التسيير والتدبير.

ويفرض على المسلمين أن يسعوا إلى الوحدة أمران :

- أمر واقعي يتعلق بأن المسلمين يرون كيف أن هناك دولا كانت الحروب الأهلية قد مزقتها تمزيقا أتت على هلاك عدد كبير من الناس ولكن جمعت صفوفها وتوحدت وصارت من الدول القوية ومنها الولايات المتحدة وكيف أن أوربا الآن بالرغم من الحروب التي مرت بين بلدانها وبالرغم من تعدد لغاتها ها هي تسير نحو التكتل والوحدة وهي مازالت تتمسك بهذه الوحدة بالرغم من الصعوبات الاقتصادية التي تعرفها بعض دولها فكيف يحرص هؤلاء مع ماهم عليه على الوحدة ويحرص المسلمون أو قادتهم على الفرقة وبلادهم وشعوبهم لها من المقومات الصلبة ما يمكن أن تتحقق معه وحدة قوية. فالبلاد الإسلامية : لها رغبة أبنائها وشعوبها الملحة في الوحدة ولها دينها الذي يجمعها وثقافتها وتاريخها المشترك ولها لغة محببة إلى قلوب أبنائها ولها مصالحها المشتركة وتنوع في خيراتها ومواردها وطاقاتها ولها أيضا ما يجمعها في ماتسعى إليه وتهدف إلى تحقيقه من إشاعة الحق والعدل والخير والمحبة والسلام والتعاون بين بني البشر ودعوة الناس بالحسنى إلى أن يحققوا مراد الله سبحانه من خلقهم بأن يعبدوه باتباع شريعته بغاية بناء حضارة إنسانية جامعة ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾(البقرة : 20).

- أمر ثان يعود إلى أن هذه الدول والشعوب الإسلامية تعلن على لسان رؤسائها ولسان دساتيرها أن دينها الإسلام. والإسلام منهج متكامل يهتم بشؤون الإنسان فردا وجماعة ينظر إلى الفرد المسلم وينظر إليه من خلال جماعة المسلمين ليتحقق للمسلم بإيمانه بالله الأمن والأمان في الدنيا والآخرة. والأمن والأمان في الدنيا من دعائمه الأساسية قيام أمة ودولة عزيزة منيعة يعز بعزتها كل مسلم ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مومنين**﴾(آل عمران : 139).

والإسلام يعتبر كل المسلمين أمة واحدة ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس﴾ وهذه الأمة لكي تستمر في رسالتها بشهادتها على الناس بتبليغ دين الله لهم تحتاج إلى أن تكون مؤهلة لذلك ومن جملة ما يؤهلها للقيام بهذا الدور العظيم أن تجتمع في وحدة ترفع مكانتها وصوتها بين الدول وكل الشعوب الإسلامية تتوق وتشتاق إلى الوحدة وهي متأكدة من سهولة قيامها لو صحت النوايا والعزائم ومن سلامة نتائجها ومنافعها العميمة لو تمت بمشيئة الله فما على القادة والحكام إلا أن يستجيبوا من جهة لهذه الرغبة لدى شعوبهم فهم مسؤولون أمام الله سبحانه عن الوضع الشائن الذي يتردى فيه المسلمون بما يلحقهم من أنواع الأذى والإهانة من أعدائهم بفكرهم الاستعماري وحقدهم على الإسلام وأهله. وأن يستجيبوا من جهة أخرى إلى ما يدعو إليه الله سبحانه في قرآنه ونبيه الكريم ﷺ في سنته من اجتماع المسلمين في أمة واحدة يقول سبحانه : ﴿**إن هذه أمتكم أمة أمةً واحدة وانا ربكم فاعبدون**﴾(الأنبياء : 93) أي الأمة المتمسكة بدين الله والحامية له (يقول الزجاج : انتصب أمةً على الحال أي في حال اجتماعها على الحق أي هذه أمتكم مادامت أمة واحدة واجتمعتم على التوحيد فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق)(القرطبي 239/11).

ويقول في محكم تنزيله ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾(آل عمران : 103) أي استمسكوا جميعكم بحبل الله الذي يحفظ لكم قوتكم وعزكم ومنعتكم والمقصود بحبل الله عهده

تتمة : ص 13

حلاوة الاقتناع بالدين (4)

د- سراقة بن مالك :

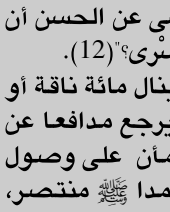

ذ. المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

وَوَقَعَ فِي نَفْسِي -حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ-
أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَسَأَلْتُهُ كِتَابَ أَمْنٍ

أعلنتْ قريش في نواديها - عند هجرة الرسول ﷺ وصاحبه - بأن من يأتي بالنبي حيا أو ميتا، فله مائة ناقة. وانتشر هذا الخبر عند قبائل الأعراب في ضواحي مكة، فطمع سراقة بن مالك بن جعشم في نيل الجائزة التي أعدتها قريش لمن يأتي برسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمان بن مالك المُدلجي - وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره : أنه سمع سراقة يقول : جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ دية عظيمة لمن قتله أو أَسَرَهُ، فبينما أنا جالسٌ من مجالس قومي بني مدلج، إذْ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال : يا سُرَاقَةُ إني رأيتُ آنفا أسْوِدَةً(1) بالساحل أراها محمدا وأصحابَه، قال سراقةُ : فعرفتُ أنهم هُمْ، فقلتُ له : إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتَ فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثتُ في المجلس ساعة، ثم قُمتُ، فدخلتُ، فأمرتُ جاريتي أن تخرُجَ بفرسي وهُوَ من وراءِ أكَمَةٍ(2) فتحبسُهَا عليَّ.

فخرجتُ من ظهر البيت حتى أتيتُ الفرسَ فركبتُها، وأسرعْتُ حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي، فخررْتُ عنها، فقُمتُ فأهويتُ إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام(3)، فا ستَقْسَمْتُ بها(4) : أضُرُّهُمْ أم لا أَضُرُّهُمْ، فخرج الذي أكره(5) فركبتُ فرسي، وعصيت الأزلام، فقربت منهم، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت(6) يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتُها فنهضتْ، فلم تكد تُخرج يَدَيْها(7) فلما استوتْ قائمة إذا لأثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ(8) ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالازلام فخرج الذي أكره.

فناديتُهم با لأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول الله ﷺ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتُهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني(9) ولم يسألاني، إلا أنه قال : "أخْفِ عَنَّا" فسألته أن يكتُب لي في كتاب أمْنٍ، فأمر عامر بن فهيرة(10) فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ(11).

قال ابن عبد البر : روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة : "كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟"(12).

سبحان مقلب القلوب إن سراقة خرج جاهدا نفسه لينال مائة ناقة أو أكثر(13). ولكن الله عز وجل بقدرته التي لا تُغلب جعله يرجع مدافعا عن رسول الله ﷺ، حيث أصبح يحكي ما وقع له - بعدما اطمأن على وصول الرسول ﷺ آمنا- من المعجزات، ويذيع في الناس أن محمدا ﷺ منتصر، فخاف رؤساء قريش أن يكون ذلك سببا لاسلام بعض أهل مكة، وكان سراقة أمير بني مُدلج ورئيسهم، فكتب إليهم أبو جهل :

بَني مُدلجٍ إنِّي أخَافُ سَفِيهَكُمْ ... سُرَاقَةَ مُسْتَغْوٍ(14) لِنَصْرِ مُحَمَّدِ
عَلَيْكُمْ بِهِ أَلاَّ يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ ... فَيُصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عَزٍّ وَسُؤْدَدِ

فقال سراقة يرد عليه :

أَبَا حَكَمٍ، واللَّهِ لَوْ كُنْتَ شاهداً ... لأَمْرِ حَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهْ(15)
عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ(16)
عَلَيْكَ، فَكُفَّ القَوْمَ عَنْهُ فَإِنَّنِي ... أَرَى يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ(17)
بِأَمْرٍ، تَوَدُّ النَّاسُ فيهِ بِأَسْرِهِمْ ... بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُراً مُسَالِمُهْ(18)

1- أسودة : ج سواد، وهو الشخص الذي يُرى كالشبح من دون أن يُعرف.
2- أكمة : الرابية والكُدية وكل مرتفع في الأرض.
3- الأزلام : الأقْداح والسهام المخصصة للاستقسام بها.
4- استقسمتُ بها : أخرجتها وحرَكتُها لأعرف هل يخرجُ القِدح الذي يخبرني هل أضره أم لا.
5- الذي أكره : خرج القدح الذي يُخبر أنه لا يضره.
6- ساخت : غاصَتْ في الأرض.
7- فلم تكد تخرج يديها : أخرجت يدَيْها من الأرض بصعوبة.
8- عُثَانٌ : دخان يُجمع على عواثن على غير قياس، والعُثَان أيضا : الغبار، وفي رواية ابن هشام : وتبعهما دخان كالإعْصار.
9- لم يرزآني : لم يأخذا شيئا مني، وتلك صفة الدّعاة لا أجْرٌ إلامن الله تعالى، ولا طمع إلا في رعاية الله عز وجل.
10- في رواية أن الذي كتب هو أبو بكر في عَظْم، أو رُقعة أو في خرَفة.
11- هذا جزء من رواية البخاري، السيرة النبوية لصلابي 451/1.
12- وقد تحققت النبوة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
13- خصوصاً وأنه كان جزاراً.
14- مستغوٍ : يغوى ويهوى انتصار محمد.
15- أبا حكم : المقصود هو أبو جهل، يقول له لو شاهدت فرسي وكيف ساخت يداه لتَيَقَّنْت أن محمد رسول.
16- لعلمت يا أبا الحكم بدون شك أن محمداً رسول، ولكن المعروف أن أبا جهل شاهد معجزة الفحل، ومعجزة الخندق من النار ولم يومن.
17- عليك : أي الزم نفسك، ولا تشتغل بتحريض الناس على محمد، وعليَّ، وعلى من اتبعه فإنه منصور.
18- بأمر : أي بأمر الإسلام، الذي يدعو إليه، فإنه سينتصر وتحب كل الناس أن تُسَالِمَه.

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

ستون عالما مسلما منهم الشيخ القرضاوي يصدرون بيانا يحرم تقسيم السودان

أصدر الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وستون عالما وداعية إسلاميا من مختلف الدول العربية والإسلامية، بيانا بتحريم تقسيم السودان، مؤكدين على أن التصويت لصالح انفصال جنوب السودان عن شماله تحرمه الشريعة الإسلامية، مطالبين بإفشال ما وصفوه بالمخطط المعد من قبل الاستعمار لفصل جنوب السودان عن شماله، ومعتبرين أن كل من يشارك في تقسيم السودان "آثم شرعا".

وجاء في البيان: "إن التصويت لصالح انفصال جنوب السودان عن شماله حرام شرعا"، مطالبين الشعب السوداني بتضافر الجهود لتوحيد جنوب السودان مع شماله، وإفشال مخطط الانفصال المعد من قبل الاستعمار، الذي تروج له جهات وشخصيات تقدم تطلعاتها الشخصية على مصالح الأمة.

وينتمي هؤلاء العلماء إلى دول مصر والمملكة العربية السعودية واليمن ولبنان وموريتانيا وتركيا ونيجيريا والسودان والأردن وفلسطين والمغرب وليبيا وطاجيكستان وماليزيا وأفغانستان وباكستان.

وطالبوا في البيان "قادة الأمة وأهل الرأي وأولي العقل باليقظة لمخطط الكيان الصهيوني والصليبية العالمية بتقسيم السودان، وتبعاته المأساوية، والأخذ بزمام القرار الذي يصنع حاضرهم ومستقبلهم"، مشددين على أن انفصال جنوب السودان ليس مسألة حرب أهلية، لكنه مؤامرة عالمية لإقصاء العروبة والإسلام.

وأوضحوا أن مخطط الانفصال لا يستهدف السودان وحده، باعتبار أن جنوب السودان هو بوابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا.

وأشاروا إلى أن "مخطط الانفصال يكشف بوضوح أن توحد القوى الغربية ودعمها حركات التمرد والانفصال بالدول العربية يهدف إلى تفتيت الأمة العربية والإسلامية".

التحقيق مع سياسية فرنسية استهزأت بصلاة المسلمين

أعلنت نيابة مدينة ليون الفرنسية أنها فتحت تحقيقا مبدئيا ضد مارين لوبين نائبة رئيس حزب الجبهة الوطنية الفرنسية بتهمة التحريض على الكراهية العنصرية.

وجاءت تلك الخطوة في أعقاب تشبيه لوبين صلاة المسلمين في الشوارع خارج المساجد عندما تكون مكتظة بالمصلين، بالاحتلال الألماني النازي لفرنسا، وفق زعمها. وأوضحت نيابة ليون أن هذا التحقيق يأتي بناء على شكوى تقدم بها الحزب من أجل مناهضة العنصرية والصداقة بين الشعوب.

وأثارت تصريحات مارين لوبين تنديد جمعيات إسلامية فرنسية وأحزاب سياسية وصحف محلية كبرى.

تحذير من كارثة خطيرة لنقص الأدوية بغزة

حذر وزير الصحة في الحكومة الفلسطينية بقطاع غزة باسم نعيم من كارثة في غزة بسبب عدم توفر أصناف أساسية من الأدوية، واتهم السلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس بمنع وصولها إلى القطاع.

وبحسب وكالة سما قال نعيم : "الوضع في قطاع غزة معرض لكارثة حقيقية خطيرة بسبب نفاد 182 من 450 صنفا من الأدوية الأساسية والضرورية الأكثر استعمالا في مشافي ومراكز قطاع غزة الصحية، ونحذر من أن الوضع سيتفاقم إذا شنت إسرائيل هجوما على غزة".

وأضاف : "سنواجه كارثة إنسانية صحية وبيئية غير محتملة في الوضع الصحي إذا شنت إسرائيل عدوانا كبيرا على قطاع غزة".

واتهم نعيم السلطة الفلسطينية في رام الله بمنع وصول هذه الأدوية إلى قطاع غزة بقرار سياسي رغم أن هذه الأدوية تم شراؤها ومتوفرة في مخازن الصحة برام الله بحسب ما أبلغتهم منظمات صحية عالمية.

وناشد نعيم المجتمع الدولي التحرك فورا لتفادي كارثة في غزة المحاصرة، وأوضح أنه طلب من منظمة الصحة العالمية ومنظمات دولية أخرى العمل على توفير الأدوية اللازمة.

تقارير أوروبية : الإعلام الغربي ينشر الخوف من الإسلام

كشفت تقارير أوروبية حديثة أن وسائل الإعلام الغربية ساهمت بشكل كبير في نشر ثقافة الخوف مما يسمى "الإرهاب الإسلامي" التي هي أبعد من أن تكون ظاهرة حقيقية واقعة. كما تؤكد ذلك الأرقام الخاصة بالإرهاب الذي ضرب القارة الأوروبية في السابق.

وذكرت وكالة "يوروبول" التي تحظى بمصداقية كبيرة في أوروبا في تقرير لها عن أن القارة الأوربية تعرضت خلال 2009 لنحو 294 عملا "إرهابيا"، نسب واحد منها فقط للإسلاميين، وقد نسب ذلك العمل المنفرد إلى التطرف الإسلامي في إيطاليا عندما انفجرت قنبلة على الأراضي الإيطالية.

ثورة الشعب التونسي تطيح بالرئيس

أدى تواصل احتجاجات الشارع التونسي إلى تنحي الرئيس زين العابدين بن علي وفراره خارج البلاد بعد تعذر فرار كثير من أفراد أسرته، وبعد أن حكم تونس بقبضة من حديد ومصادرة للحريات وقمع منقطع النظير، وقد أعلن رئيس الوزراء محمد الغنوشي توليه مهام الرئاسة وتعهد بإجراء الاصلاحات المطلوبة بالتشاور مع جميع المكونات الوطنية.

وبعد تنحي الرئيس بن علي توالت ردود الفعل الدولية فقد أعلنت فرنسا عدم قبولها استقبال الرئيس بن علي فوق أراضيها وشكلت على الفور خلية أزمة لمتابعة التطورات في تونس، ودعا البيت الأبيض التونسيين إلى إجراء انتخابات ديمقراطية قريبة، واحترام إرادة الشعب التونسي في قراره، وحذرت هيلاري كلنتون من تكرر نفس السيناريو في البلدان العربية بسبب غياب الديمقراطية وتباطؤ الإصلاحات و تفشي البطالة، كما دعت قطر إلى احترام إرادة الشعب والتهدئة فيما أعلنت السعودية ترحيبها باستقبال الرئيس الفار وعائلته ودعت الشعب التونسي إلى الخروج من الأزمة. فيما تواصلت احتجاجات الشارع والمحامين معلنة رفضها مبادرة الغنوشي وتحايله على القانون، الأمر الذي أدى إلى تنحي الغنوشي وإعلان رئيس البرلمان رئيساً مؤقتا لتونس

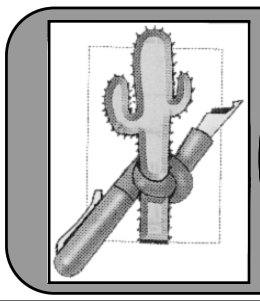

الإعلام الموجّه

في بداية كتابة هذا المقال، كانت نيتي أن أضبط العنوان بكسر الجيم (بصيغة اسم الفاعل)، لكن بدا لي بعْدَ البدء في الكتابة أن ضبط الجيم بالفتح (بصيغة اسم المفعول) ممكن أيضا، فهو موجِّه للناس وفق الأهداف المسطرة مسبقا ولخدمة أهداف ربما لا تكون في صالح هؤلاء الناس، وهو موجَّهٌ من قبل أصحاب المصالح وأرباب الأموال الممولين لوسائل الإعلام هذه...

ولذلك فإعلامنا الذي نشاهده ونقرأه ونسمعه موجِّه وموجَّهٌ في ذات الوقت، وقد يصل التوجيه إلى التضليل وقلب الحقائق.

كلنا تابعنا خلال الأسابيع الماضية حملة وسائل إعلامية إسبانية ضد المَغرب، بهدف تضليل الرأي العام الإسباني والتأثير فيه من أجل خدمة أهداف استعمارية مازالت جهات إسبانية تراهن عليه من أجل النيل من سمعة المغرب وتاريخه ووحدة أراضيه واستقلالها.

هذا نموذج.. نموذج آخر ما نشاهده من حين إلى آخر من تصوير وسائل الإعلام للأقليات في العالم الإسلامي، حيث يقدمهم، وكأن أقصى وأقسى حالات الاضطهاد قد لحقت بهم، مثل ما شاهدنا في وسائل الإعلام التي تحدثت عن أقباط مصر، حيث صورتهم وكأنهم هم فقط أهل البلاد الأصليون، أما المسلمون فهم عرب وافدون. وكأن المصريين الذين اعتنقوا الاسلام على امتداد التاريخ جاؤوا من المريخ.. ولم يكونوا في بدايتهم أقباطا سكانا لمصر. وهو الأمر الذي تسوقه وسائل إعلام عديدة في أكثر من مكان لإيهام الرأي العام في أكثر من منطقة أن البلدان الإسلامية خارج الجزيرة العربية ينبغي أن يكون "سكانها الأصليون" غير مسلمين، وكأنهم يملكون خرائط جينية لسلالات الأقوام لمعرفة الساكن الأصلي من غيره..

نموذج آخر بدا حينما أعلنت الحكومة الفلسطينية في غزة بتنسيق مع حركات المقاومة أنها تريد التمسك بالهدنة غير المعلنة حتى تجنب الشعب الفلسطيني في غزة ويلات الهجمات الإسرائيلية الغادرة التي لا تبقي ولا تذر، حيث قدمت وسائل إعلام عربية -مع الأسف- أن هذا الموقف يتناقض مع ما تدعيه حماس من انتهاج أسلوب المقاومة، وأنها بإعلانها هذه الهدنة تريد فقط التمسك بالسلطة... وكأن المقاومة الإسلامية في عرف هذا الإعلام كُتب عليها القتال أبد الآبدين إلى أن تفنى وتبيد، وإلا فإنها لا يمكن أن تسمى مقاومة.

ونموذج آخر ما يصك مسامعنا صباح مساء من إذاعات مسموعة ومرئية مخضرمة اللغة، فلا هي عربية مغربية ولا هي فرنسية أجنبية، وكأن هذا الإعلام يوجه مُستَمِيعِيه إلى أن لغة الوطن هي هذه : كلمة أو كلمتان بالعربية، والباقي بالأجنبية، وحتى تلك الأجنبية غير مستقيمة فلا نحن بلغتنا نُتقنُها، وتعبّر عن هويتنا وحضارتنا، ولا نحن بلغة الآخرين نعبر بها تعبيراً سليما عند الاقتضاء.

ونموذج أخير حينما تُريد هذه الوسائل الإعلامية سلخ وطننا عن محيطه الإقليمي والثقافي والتاريخي والحضاري واللغوي فتخلط بين ما هو عربي وإسلامي بما هو دولي أجنبي مائة في المائة، فحينما نسمع نشرة الأخبار تصك مسامعنا العبارة التالية التي تتَرَدَّدُ في الغالب هكذا : «دوليا في الأراضي الفلسطينية...»، «دوليا في السعودية...» وكأن الأراضي الفلسطينية أو السعودية أو غيرها من الأوطان العربية والإسلامية ليست جزءا من العالم العربي والإسلامي الذي ننتمي إليه بحكم الدين واللغة والتاريخ والواقع. وإلا فماذا يعني انتماؤنا إلى جامعة الدول العربية، وماذا يعني ا نتماؤنا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي الذي كان للمغرب الفضل في تأسيسها.

إنه إعلام موجه يريد منا أن نعتبر فلسطين وغيرها من الأوطان العربية والإسلامية غريبة عنا فلا نحس بآلامهم ولا يُحسون بآلامنا ولا نفرح بما يفرحون ولا يفرحون بما نفرح، ومن ثَم لا تجتمع لنا كلمة ولا تقوم لنا قائمة، وذلك في وقت يسعى الأقوياء والضعفاء معاً في أكثر من جهة من جهات المعمور إلى الاتحاد والتجمع على اختلاف أديانهم ولغاتهم وثقافاتهم.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 8

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون المعيشة الضنك

أعده للنشر ذ. عبد المجيد بالبصير

المعيشة الضنك مخشى النفوس بالفطرة

...القانون اليوم قانون المعيشة الضنك، سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان يقول "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه" ولعل اختيار هذا القانون من هذا القبيل. المعيشة الضنك لا يتمناها أحد من بني البشر، بل إن كل الناس تنفر نفوسهم من المعيشة الضنك، حياة الشقاء، حياة القلق، حياة الضياع، حياة السوداوية، حياة التشاؤم، حياة الإحباط، حياة اليأس.

الإعراض عن ذكر الله

قانون المعيشة الضنك

المعيشة الضنك لها قانون في القرآن الكريم، ومرة ثانية... حينما تتعامل مع جهة قيادية في الأرض، مزاجية، ترضى بلا سبب، أو ترضى لسبب تافه، وتغضب بلا سبب، أو تغضب لسبب تافه؛ التعامل مع هذه الجهة القيادية متعب جدا، أما حينما تتعامل مع جهة قيادية لها قواعد ثابتة وواضحة في التعامل معها، تعلم ما الذي يرقى بك عند هذا الإنسان، وما الذي يهوي بك عند هذا الإنسان، التعامل مع جهة قيادية وفق قواعد ثابتة شيء مريح جدا للإنسان؛ لذلك من فضل الله علينا أن الله سبحانه وتعالى وضع قواعد تشبه القوانين، هذا الذي دفع إلى تسمية هذه القواعد في القرآن الكريم "قوانين القرآن الكريم" فلكل وضع مصيري خطير في حياة الإنسان قانون ثابت، له مقدمات وله نتائج؛ من هذه القوانين قوانين المعيشة الضنك، عيش الشقاء، عيش الضياع، عيش الإحباط، عيش الإخفاق، عيش السوداوية، عيش التطرف، عيش الانهيار. المعيشة الضنك لها قانون، من أين نجد آية في كتاب الله تشير إلى المعيشة الضنك كقانون؟

الله عز وجل حين يقول : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه : 124)... لعل صياغة "منْ" كاسم شرط جازم لها فعلان الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه، ولا يقع الثاني إلا إذا وقع الأول، هذه الصياغة في اللغة العربية تشير إلى القانون، وكأنه قانون مطرد، يقع في كل زمان ومكان "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا" المعيشة الضنك سببها الإعراض عن ذكر الله جل جلاله.

الذكر روح العبادة والصلاة مخ السعادة

الله عز وجل يقول : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾(طه : 14) الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين...لذلك يقول الله عز وجل : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ تسعد القلوب، تطمئن، تشعر بالراحة، تشعر بالسكينة، تشعر بالتفاؤل، تشعر بحفظ الله، بتأييد الله، بنصر الله، بتوفيق الله؛ كل هذه المشاعر المسعدة التي هي سبب النجاح في الحياة، بسبب الاتصال بالله عز وجل.

...حينما قال الله عز وجل : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾... وفي آية أخرى : ﴿أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾(العنكبوت : 45) ولذكر الله أكبر إشارة إلى أن أكبر ما في الصلاة ذكر الله، هذا رأي بعض المفسرين، ولكن هناك مفسرون آخرون لهم اجتهاد في فهم هذه الآية... قال هؤلاء العلماء: إنك حينما تصلي أيها المؤمن إنك تذكر الله، وذكر الله الذي تذكره هو واجب العبودية تجاه الله عز وجل، لكن ذكر الله لك وأنت تصلي أكبر من ذكرك له، بمعنى أنك إن ذكرته أديت واجب العبودية نحوه، لكن الله سبحانه وتعالى إذا ذكرك ما الذي يحصل؟ إذا ذكرك الله عز وجل منحك الأمن قال تعالى : ﴿فأي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾(الأنعام :81) إن الله سبحانه وتعالى إذا ذكرك منحك الحكمة "ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا﴾(البقرة : 229) بالحكمة تسعد بدخل محدود، ومن دون حكمة تشقى بدخل غير محدود، بالحكمة تجعل العدو صديقا، ومن دون حكمة تجعل الصديق عدوا، بالحكمة تسعد بزوج من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة تشقى بزوج من الدرجة الأولى، لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾.

ما سبب المعيشة الضنك؟ الإعراض عن ذكر الله "وأقم الصلاة لذكري" فالذكر هو الصلاة كما أرادها الله عز وجل، الصلاة التي يشفى الإنسان من أمراضه من خلالها، الصلاة التي يرقى بها إلى الله، الصلاة التي يسعد بها، الصلاة التي ينسى بها الدنيا وهو في صلاته التي أرادها الله عز وجل، إن الله سبحانه وتعالى إذا ذكر المؤمن في الصلاة منحه الحكمة، منحه الأمن، منحه الرضا، منحه التفاؤل، منحه كل الصفات التي تسعده، فلذلك حقيقة الصلاة أن ترقى بها إلى رب الأرض والسماوات.

المعيشة الضنك ضيق القلب وسخط الرب

...هذا قانون ﴿ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ هذا القانون مطرد، أي شامل لكل مكان وزمان، ومع كل إنسان، قد يسأل سائل: ما بال الأغنياء والأقوياء هم يعيشون معيشة ضنكا؟ أجاب علماء التفسير: إن المعيشة الضنك للأقوياء والأغنياء هي ضيق القلب، لذلك قال أحد العارفين بالله وقد كان ملكا "لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف".

...يقول الله عز وجل : ﴿إن الانسان خلق هلوعا﴾(المعارج : 18) هكذا خلقه الله عز وجل، هناك نقطة في أصل خلقه، نقطة ضعف ﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين﴾(المعارج : 19- 20) نقاط الضعف التي في خلق الإنسان، والتي قد تحيل حياته إلى معيشة ضنك، المؤمن معفى منها ﴿إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين﴾.

...كتعليق لطيف قالوا في علم المنطق: الصفة قيد، يعني إذا قلت إنسان، هذه الكلمة تغطي ستة آلاف مليون، أما إذا قلت إنسان مسلم: مليار ونصف، أما إذا قلت إنسان مسلم عربي، أما إذا قلت إنسان مسلم عربي مثقف، أما إذا قلت إنسان مسلم عربي مثقف طبيب، أما إذا قلت إنسان مسلم عربي مثقف طبيب جراح، كلما أضفت صفة ضاقت الدائرة، **فهؤلاء المصلون الذين نجوا من المعيشة الضنك، من هم؟ قال تعالى : ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون﴾(المعارج : 21- 26) كلما أضفنا صفة ضاقت الدائرة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون﴾(المعارج 27- 33).**

إذن المعيشة الضنك معيشة الشقاء واليأس، والإحباط والسوداوية والتشاؤم، معيشة ينفر منها أي إنسان، وهذه المعيشة قانونها في القرآن الكريم هو الإعراض عن ذكر الله، وذكر الله في حقيقته الصلاة التي فرضها الله على كل المؤمنين، بالصلاة يرقى الإنسان إلى رب العالمين... كما قال سيدنا حذيفة "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه" والمعيشة الضنك ينبغي أن يبتعد عنها كل إنسان حينما يبتعد عن الغفلة عن الله، وحينما يحكم صلته بالله... إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى...

مواقف وأحوال

يأكل من الميتة ولا يأكل من الأمانة

أخرج البخاري في صحيحه عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفه ألف دينار، فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم، فقالَ : كفى بالله شهيدا، فقال فائتني بالكفيل(1) قال : كفى بالله كفيلا، قال صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى.

فخرج إلى البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجلَّه، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها(2)، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زَجَّجَ موضعها(3) ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم إذ استسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا، فقلت : كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت : كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني اجتهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أسْتَوْدِعَكَهَا، فرمى بها في البحر حتى ولجَتْ(4) فيه ثم انصَرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه فنظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حَطَباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسْلَفَهُ فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال : هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال : لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت والخشبةَ، فانصرف بالألف راشدا".

هذه قصة عجيبة فيها فوائد جمة، وإنما يعنينا منها الآن وفاء المتسلف بالعهد، وأداؤه الأمانة لصاحبها في الأجل المحدد وبتلك الطريقة الغريبة : حفر خشبة، وحَشْوُها بالمال، وإلقاؤها في البحر بعد أن عجز عن أن يجد مركبا، ثم إحضاره الأمانة بعد أن وجد المركب خيفة ضياع ما أرسل في الخشبة، هذا يذكرنا بقول ربنا في كتابه الكريم ﴿إن الله يأمركم أن تودوا الامانات إلى أهلها﴾ ويقول النبي ﷺ "أد الأمانة إلى من ائتمنك".

بَيْدَ أن ما استوقفني أكثر، وأثار عجبي واستغرابي في زمن تضيع الأمانة حال القاضي الفقيه ابن البنا عبد الله بن محمد بن المفرج المالكي، المعروف بغاية الورع والدين والأمانة، وتأمل معي هذه الحال لهذا الرجل الذي صار من قاض كبير، وفقيه نحرير إلى رجل لا يجد ما يَسُدُّ به رمقه من الجوع، حتى أكل الميتة التي أباحها الله للمضطر. قال عياض رحمه الله : إن عيسى بن مسكين كان أودع ابن البنا ودائع، فطرأت أزمة شديدة، فقيل لعيسى : ذهبت ودائع الناس من عند ابن البنا. فقال : لم؟ قال : رأيناه يقطع الميتة!

فوجه إليه عيسى في إحضارها (أي إحضار الأمانات التي عنده للناس) فقال : نعم، فأحضرها. فقال له عيسى: تأكل الميتة وهي عندك؟!

فقال له : إن الميتة أحلت لي مع الاضطرار، ولم يحل لي أن أخون أمانتي.

قال : ارجع بها. قال له: لا، والله، وامْتَنَع من قبولها(5).

هذه هي القصة، فما خبر الأمانة عندك؟؟

1- الكفيل : الضامن
2- نقرها : حفرها
3- زجج موضعها : سوّاه وأصلحه
4- ولجت فيه : دخلت فيه
5- ترتيب المدارك 100/5 (ط. وزارة الأوقاف)

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

12 صفر 1432هـ - 17 يناير 2011 م- العدد: 351

قصة آدم عليه السلام (1)

د. مصطفى فوضيل

ورد ذكر آدم عليه السلام في القرآن الكريم، في عدة مواضع. وقد عُبِّر عنه في مواضع باسمه "آدم"، وكُنّي عنه بألفاظ أخرى كالبشر والإنسان في مواضع أخرى.

وفيما يلي تفصيل أخباره وما يستفاد منها انطلاقا مما ورد عنه في كتاب الله عز وجل:

أولا: خلقُ آدم عليه السلام:

1- خلقه من تراب: وعُبِّرَ عن مادة الخلق مرة بالتراب ومرة بالطين ومرة بالصلصال ومرة بالحمأ المسنون.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران 59).

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِه ...﴾(فاطر 11).

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾(الروم 20)

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(غافر 67).

وقال الله تعالى ﴿...إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾(ص 71).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ...﴾(الأنعام 2).

وقال الله عز وجل حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾(الإسراء 61).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(الحجر 28).

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الانْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾(الرحمن:14).

العبر:

1- التنبيه على قدرة الله تعالى وجلاله وجماله وكماله:

يستفاد ذلك من ذكر لفظ الآيات في قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾(الروم 20) ومن مظاهر تجلي الآيات هنا:

أ- خلق إنسان حيٍّ متحرك سامع ناظر ناطق عاقل...، من تراب أي من مادة جامدة هينة. وقد جعل بذلك خلقا خاصا متميزا عن غيره من المخلوقات قبله، سواء من حيث طبيعته أو صورته أو وظيفته. وهذا وغيره يدل على القدرة الخلاّقة لله عز وجل كما قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(يس : 83).

وإن الإنسان اليوم وهو ينظر إلى نفسه بمنظار العلوم والتقنيات ليقف أمام نفسه مندهشا من هذا الخلق العجيب، ويكتشف فيه -وهو الجرم الصغير- أكوانا وعوالم فسيحة غامضة مهولة. ومن عجيب ما قرأت "أن مجموع طول الشرايين الدموية يبلغ 120 ألف كم (أي يبلغ هذا الطول ما يكفي للدوران حول محيط الكرة الأرضية ثلاث مرات)، بينما يبلغ مجموع طول الأعصاب عندي 780.000 كم، وهذا الطول يبلغ ضعف المسافة بين الأرض والقمر. و400.000 كم من هذا الطول هو مجموع طول الأعصاب المنتشرة في أجزاء الجسم. أما الباقي (أي 368.000 كم) فهو مجموع الأعصاب العائدة إلى المركز العصبي. ويقرب عدد المعلومات الواصلة من خلية واحدة مائتي ألف معلومة. وهذا يعني أن مئات الآلاف بل الملايين من المعلومات تمر من داخل خليتي من المركز إلى المحيط، ومن المحيط إلى المركز. وأنا أملك ثلاثين مليار خلية؛ عشرة مليارات منها في محيط القشرة، وعشرة مليارات تقريبا منها في قشرة المخيخ، أما الباقي فيشكل أجزائي الأخرى. ومن أجل الإيضاح أقول: يملك دماغ البعوض مائة ألف خلية، ودماغ الفأر عشرة ملايين خلية. ولكي يتم تبادل المعلومات بين خلاياي البالغة ثلاثين مليار خلية هناك نقاط اشتباكات عصبية يبلغ عددها مائة تريليون نقطة. أما عدد المخابرات والاتصالات التي يمكن لهذه الاشتباكات العصبية إجراؤها مع بعضها البعض فيزيد على عدد ذرات الكون". (الجهاز العصبي يتكلم/ د. عرفان يلماز/ مجلة حراء العدد 16). وما نقلته هنا ما هو إلا جزء قليل من عجائب الخلق في الإنسان.

ب- جعله بهيئة دافعة إلى التناسل الذاتي والتكاثر المستمر إلى أن تقوم الساعة... كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾(النساء : 1) وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(الأنعام : 98).

2- التنبيه على اعتناء الله تعالى بخلق آدم:

وذلك واضح في إسناد الفعل إليه عز وجل بأنه سواه وصوره: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...﴾(ص : 71)

وفي قوله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ...﴾(طه : : 12).

ثم إنه جل جلاله -فوق كل ذلك- نفخ فيه من روحه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص 71) وإنه لتشريف وأي تشريف!!

ثم انْتَبِهْ إلى عبارة ﴿خلقت بيدي﴾ في قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(ص : 68-76). يقول سيد قطب: "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ والله خالق كل شيء. فلابد أن تكون هناك خصوصية في خلق هذا الإنسان تستحق هذا التنويه. هي خصوصية العناية الربانية بهذا الكائن وإيداعه نفخة من روح الله دلالة على هذه العناية". (الظلال)

3- تقرير أن الإنسان -بسبب طبيعته المكونة من قبضة الطين ونفخة الروح- تتنازعه قوتان: قوة جاذبة له إلى الأرض وما ينبت فيها وينتج عنها من المواد اللامعة اللاهية، وقوة جاذبة له إلى الأعلى.

وعلى المدافعة بين هاتين القوتين قام الابتلاء للإنسان ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾. ومما يدخل في الابتلاء أن الشيطان منذ البداية رفع لواء الدعوة إلى طين الأرض والخلود إليها؛ لما يعلم من أن بقاء الإنسان داخل هذا الحد، هو تكبيل له عن الانعتاق إلى الآفاق. وهذا بخلاف الأنبياء فإنهم رفعوا لواء الروح: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ ونبهوا الإنسان على أن مما يعينهم على التحرر من جاذبية الأرض الاعتصام بحبل الله النازل من السماء: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا...﴾، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾. وروى مسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: "إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً".

4- التنبيه على أن أصل الإنسان ينبغي أن يكون دافعا له إلى التواضع لله عز وجل:

وذلك واضح في التعبير عن مادة الخلق وأوصافها بألفاظ لا يسع الإنسان معها إلا التواضع: "التراب، الصلصال، الحمأ، المسنون.." يقول الشيخ ابن عاشور في تفسيره: "الصلصال: الطين الذي يترك حتى ييبس فإذا يبس فهو صلصال وهو شبه الفخار؛ إلا أن الفخار هو ما يبس بالطبخ بالنار... والحمأ: الطين إذا اسودّ وكرهت رائحته. وقوله: ﴿حَمَإٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَالٍ﴾. و﴿مَسْنُونٍ﴾ صفة لـ ﴿حَمَإٍ﴾ أو لـ ﴿صَلْصَالٍ﴾. وإذا كان الصلصال من الحمأ فصفة أحدهما صفة للآخر. والمسنون: الذي طالت مدة مكثه".

فهذا من حيث الأصل، وأما من حيث المصير فقد قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(طه : 55) ولذلك قال الرجل في سورة الكهف لصاحبه وهو يحاوره: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(الكهف : 37)، مع أنه كان يكفيه تذكيره بخلقه من نطفة، لكنه تجاوزه إلى أصله الأول زيادة في التنبيه على ما يستوجب الشكر والتواضع لله عز وجل.

ومن شأن كل هذا أن يجعل الإنسان العاقل -وهو ينظر خلفه فلا يرى إلا التراب وينظر أمامه فلا يرى إلا التراب- أن يبحث عن شيء يرتفع به عن سطوة هذا التراب؛ والحق أنه ليس له إلا ملجأ واحد هو السجود على هذا التراب، لرب التراب، فإنه السبيل الوحيد إلى المعراج والارتفاع والارتقاء، ﴿فاسجد واقترب﴾ وأخرج مسلم عن أبي هريرة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "...وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ".

الإنسان تتنازعه قوتان: قوة جاذبة له إلى الأرض وما ينبت فيها وينتج عنها من المواد اللامعة اللاهية، وقوة جاذبة له إلى الأعلى.

وعلى المدافعة بين هاتين القوتين قام الابتلاء للإنسان ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾. ومما يدخل في الابتلاء أن الشيطان منذ البداية رفع لواء الدعوة إلى طين الأرض والخلود إليها؛ لما يعلم من أن بقاء الإنسان داخل هذا الحد، هو تكبيل له عن الانعتاق إلى الافاق. وهذا بخلاف الأنبياء فإنهم رفعوا لواء الروح: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ ونبهوا الإنسان على أن مما يعينهم على التحرر من جاذبية الأرض الاعتصام بحبل الله النازل من السماء: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا...﴾

من يشتري الجنة؟!

لقد كافأ الله تعالى عباده وشوقهم، وأرسل الآيات تلو الآيات تهيب بالسامعين التشمير للجنة والرحيل إليها، وبعد كل هذا تزهدون!! سلّم واستلم. إخوتاه.. البائع لا يستحق الثمن إذا امتنع عن تسليم المبيع، فكذلك لا يستحق العبد الجنة إلا بعد تسليم النفس والمال إلى المشتري، فمن قعد أو فرط فغير مستحق للجنة، فهل سلمت ما عليك لتستلم ما اشتهيت؟! وهل من باع نفسه وعلى استعداد أن يقدمها للذبح إرضاء لربه لا يقوى على ما هو أهون من الذبح بكثير؟ من غض بصر، أو الاستيقاظ فجراً لصلاة، أو الصبر على لقمة حرام تعرض عليه رشوة أو شبهة؟ وإذا لم يقوَ على هذا الأسهل، فهل مثله باع فعلاً؟ أم أنه يطمع في نيل أغلى سلعة بأبخس ثمن!! ومثل هذه المواجهة المتكررة للنفس الأمارة بالسوء تورث العبد - ولا بد - واحداً من أجمل الأخلاق وهو خلق "الحياء" الذي يعصم من كثير من الرذائل، ويدفع لإحراز أسمى الفضائل. فكلما لمست من نفسك فتوراً، أو انشغالاً بالعاجلة، أو إيثاراً للفانية اسأل نفسك: هل بعت؟! هل اشتريت الجنة حقّا وبعت نفسي ومالي في سبيلها؟! وما الدليل على ذلك؟! وأي عقل في التأخر عن صفقة كهذه؟! أو الانشغال عنها بغيرها؟!

د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

كلمات الله في معركة السلام

لا تحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن، لأن طبيعة المعركة الجديدة قائمة على "الكلمة"، والقرآن العظيم هو الكلام القاهر فوق كل كلام. ولكن بعد أن نفهم السؤال الإشكالي: ما حقيقة "الكلمة"، وما دورها في معركة العصر الجديدة؟

إن "الكلام" ليس "قولا" وحسب؛ إذ "القول" دال على كل ملفوظ، سواء أفاد معنى أم لم يفده، كما هو معلوم من تعريفات النحاة، بينما "الكلام" لا يكون إلا لفظا مفيدا لمقصودٍ مراد للمتكلم، سواء أفاد خيرا أم أفاد شرا، على وزان قول ابن مالك: كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقمْ.

ومن هنا ننطلق من هذا التقعيد النحوي المدرسي البسيط لنجزم بعد ذلك بأن الكلام -على هذا المعنى المؤصل في قواعد العربية- لا يكون إلا فعلا جاريا في الواقع، وحدثا جالبا لأثرٍ في التاريخ.

إن الكلمة -أيّ كلمة- إنما هي فعل من الأفعال، هذا على المستوى الوجودي. وتأمل كيف أن الخطاب مهما يصدر من منتجه فإنه لابد يؤثر في الواقع ولو على المستوى النفسي ابتداء، ثم يكون له بعد ذلك أثر فعلي. وأقل الأثر أن يعود على صاحبه بالخير أو بالشر. ولا يتصور في الواقع والعادة الجارية في الخلق كلام بلا أثر مطلقا البتة. وهذا يبدأ من مستوى الخلق والإنشاء والتكوين، مما ينسب إلى الله جل جلاله من الأفعال والأقدار، إلى مستوى الفعل الإنساني والإنجاز البشري في الواقع والتاريخ.

فمثال الأول: قول الله تعالى فيما عَرَّف به حقيقةَ نبيه عيسى عليه السلام، واصفا إياه بأنه ﴿كَلِمَتُهُ﴾ قال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾(النساء:171). فكان عيسى ههنا هو "كلمة الله" جل علاه، أي إنه راجع إلى أمره القدري التكويني. إنه إذن خَلْق الله لأن "الكلمة" راجعة إلى فعله تعالى المتعلق بتدبير شؤون الربوبية خلقا وتقديرا وقَيُّومِيَّةً. وهذا المعنى شامل في كل خلق أو تصرف إلهيّ، وفي كل قضاء وقدر. لا شيء من ذلك كله يخرج عن "كلمة الله".

ومما يدل عليه أيضا أن "الكلمة" في القرآن أمرٌ واقعٌ حتما قولُه تعالى: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾(هود:110)، وقوله سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(هود:119). ومِثْلُ هذا في القرآن كثير لمن شاء أن يتتبعه. فكل ذلك ونحوه مما تضمن ضميمة ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ دال على معاني الخلق والإنشاء والتكوين والتصيير، وسائر أفعال القضاء والقدر الإلهيين. وليست "الكلمة" قولا يقال لمجرد القول وكفى، بل هي إنجاز حتمي لا يتخلف توقيعه أبدا. فمتى قيلت "الكلمة" -بهذا السياق- كان معناه أنها فُعِلَتْ. ومن هنا لم تخرج "كلمة الله" عموما عن معنى فعل الله جل وعلا، وهو سبحانه وتعالى لا يخلف القول ولا الميعاد.

أساس الناطقية والاستخلاف

ومثال الثاني قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة:31). فالأسماء -مهما اختُلف في تفسير معناها- فإنه لا اختلاف في أنها "كلام" بالمعنى الشرعي والوجودي للكلمة، ولا يمكن أبدا أن تتصور "الأسماء" على أنها لغو أو عبث. فهي أساس الناطقية التي فُطِر عليها الإنسان، والتي تُشكل جوهرا أساسيا من ماهيته الوجودية ووظيفته الكونية، والتي كانت -بعد ذلك- أساس الاستخلاف له في الأرض. ومثلها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ × عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(الرحمن:4-3). ومن هنا كانت مسؤوليته عما يتكلم به كبيرة جدا، وهي مسؤولية لا تخرج عن عموم الأمانة التي أنيطت بالإنسان في قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾(الأحزاب:72). فالكلام البشري كله محصيّ عليه كلمةً كلمةً، يستوي في ذلك إنشاؤه وخبره، لأنه كله يوزن بميزان التحقيق بين الصدق والكذب.

وعليه؛ فتعريف البلاغيين "الخبر" في الدرس البلاغي بأنه "ما احتمل الصدق والكذب" -بزعمهم- تعريف غير مانع أبدا، بالمعنى الوجودي لكلمة "خبر"، لا بالمعنى اللغوي العادي. فتعاريف البلاغيين راجعة إلى موازين المنطق الأرسطي الصوري، وقد عُلِمَ ما فيه من خلل منهجي في تحديد المفاهيم والتصورات، إذ هو قائم على تحديد الماهيات بحدود عقليات خاضعة لمنطق العقل المجرد عن معطيات الوحي، ولا يمكن لمثل تلك الموازين إلا أن تكون "صورية" فعلا كما عبروا هم أنفسهم. فإلى أي حد تطابق الصورة الحقيقة؟ تلك هي المشكلة. ومن هنا فحد "الخبر" عندهم هو وإن جَمع المقصودَ فإنه لا يمنع دخول غيره فيه، أي معنى "الإنشاء"؛ أرأيت لو أن شخصا نادى غيره، أو أمَرَهُ، أو نهاه، وهو لا يقصد ذلك ألا يكون كاذبا؟ بلى والله! فإنما الكذب مخالفة العبارة لمقتضى الواقع، وهذا منه؛ لأن المنادي، أو الداعي، أو النادب، أو المستغيث، أو الآمر، أو الناهي.. إلى آخر ما صنفوه في معنى الإنشاء؛ كل ذلك إذا لم يصادف إرادةً في نفس المتكلم وقصداً فهو كذبٌ محض.

إن الكلام مؤثر جدا في إنتاج الفعل الإنساني بل هو عين الفعل الإنساني، ولا شيء من فعله إلا وهو حاصل بالكلام مباشرةً أو نتيجةً أو توجيها أو تفاعلا، وإنما بدء التكليف الإلهي للإنسان كَلِمَةٌ، وآخره كَلِمَة، منذ قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾(آل عمران:59)، إلى أن علَّمَهُ ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إلى أن أنزل عليه "كلامه" القرآن الكريم

فالإنشاء إذن -بهذا المعنى الوجودي- يحتمل الصدق والكذب أيضا. وهل يتوجع المتوجع لغير وَجَعٍ؟ وهل يستغيث المستغيث لغير فَزَعٍ؟ فإن قصد به معنى آخر من مجاز وغيره، كان ذلك المعنى الجديد المعدول إليه هو أساس الصدق والكذب بعد ذلك، وإنما العبرة بالخطاب قصدُ المتكلم وإرادتُه.فلا شيء من الإنشاء إلا وهو يحتمل الصدق والكذب أيضا.

حظ اللسان في الأحكام

وأزعم أنه لا شيء من الكلام الطبيعي للإنسان إلا وهو يحتملهما، ومن هنا قول الله تعالى الجامع لكل ذلك: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق:18).(1) وقولَه تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف:49). ويدخل في ذلك قطعا كل ما تلفظوا به من قول. ولذلك فقد نال اللسان الحظ الأوفر في الاعتبار في أحكام الشريعة؛ فكانت العقود كلها سواء كانت عقود الإيمان والإسلام، من بيعة شرعية، أو تعهد ومعاهدة، أو نكاح أو طلاق، أو كانت من المصارفات المالية من بيوع وإجارات وأكرية وغير ذلك مما يمكن أن يتصوره الذهن كلها إنما هي عند التحقيق "كلام" وليست مجرد لعب أو لهو من الأقوال، لأنها قائمة على معنى "مفيد"، أي مقصود مراد للمتخاطبين؛ بما فيها من إيجاب وقبول وما جرى مجراهما من معاني التراضي والإقرار. ومن هنا قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(المائدة:1)، وقوله سبحانه في سياق بيان أن الإنسان محاسب على كل ما يصدر منه من الأقوال، مما أوردناه قبل قليل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق:18). وفي الحديث: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»(رواه البخاري). ومن ثَمَّ لم يكن جِدُّ رسول الله ولا مزاحه ﷺ إلا حقا وصدقا، ولم يكن فيه كذب قط، حاشاه، عليه الصلاة والسلام.

الإعلام اليوم هذا الذي يسمونه "السلطة الرابعة" ليس في واقع الأمر إلا السلطة الأولى، لأن المتسلط على الخلق، الحاكم أمرهم بالحق أو بالباطل، إنما وصل إلى مبتغاه من التسلط والتحكم بالكلمة. فحتى عندما يكون الأسلوب المتبع في التسلط قهريا فإنما صنع الطاغية أدوات قهره وتجبره في البداية بالكلمة، ولا شيء يبدأ قبل الكلمة،

إن الكلام مؤثر جدا في إنتاج الفعل الإنساني بل هو عين الفعل الإنساني، ولا شيء من فعله إلا وهو حاصل بالكلام مباشرةً أو نتيجةً أو توجيها أو تفاعلا، وإنما بدء التكليف الإلهي للإنسان كَلِمَةٌ، وآخرُه كَلِمَة، منذ قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾(آل عمران:59)، إلى أن علَّمَهُ ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إلى أن أنزل عليه "كلامه" القرآن الكريم.

وأول الوزن وزن الكلام

فالذي لا يعير للكلام -أي كلام- الخطورةَ التي يستحقها فهو جاهل بحقائق الدين وحقائق الوجود معا. **وكثير من العقوبات في الإسلام والحدود والتعازير والآثام.. إلخ إنما ترتبت شرعا عن مجرد "كلام" يتكلم به الإنسان باطلا، بدءا بكلمة الكفر إلى كلمة القذف، إلى ما شابه ذلك من كلمات الغيبة والنميمة وعبارات السخرية والتنابز بالألقاب وهلم جرا.**

كما أن بدء الخير كله "كلمة" انطلاقا من كلمة الإخلاص: "لا إله إلا الله"، وما يتممها من "شهادة أن محمدا رسول الله"، إلى أبسط كلمات الإيمان والإحسان، كإفشاء السلام، وتشميت العاطس، وإرشاد السائل... وما بين هذا وذاك من كليات الكلام وجزئياته؛ فإنه جميعا يَؤُول -في النهاية- إلى بناء عمران الحياة الإنسانية، القائمة على العدل والسلام؛ لأن ذلك كله هو الذي ينتج فعل الخير بمعناه المطلق، ويحقق غاية الوجود البشري في الأرض. ومن هنا كانت أول نعمة امتن الله بها على الإنسان بعد نعمة الخلق أنه علمه البيان. ولذلك كان القرآن بين يديه -وهو كلام الله- الأداة الكلامية الفاعلة لإقامة الحياة في الأرض بالقسط والميزان. فتدبَّرْ قولَه تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ × عَلَّمَ الْقُرْآنَ × خَلَقَ الإِنْسَانَ × عَلَّمَهُ الْبَيَانَ × الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ × وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ × وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ × أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ × وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾(الرحمن:1- 9). وأول الوزن وزن الكلام، الذي هو حقيقة "البيان"، فإذا خسر خسرت كل الموازين بعده بدءا بموازين السياسة -بمعناها العام- وما تتضمنه من موازين الإدارة والاقتصاد، إلى موازين التجارة وسائر المصارفات المالية والاجتماعية الجزئية والكلية... إلى كل طبائع العمران وتجليات الحضارة البشرية، إلى كل ما يمتد إليه ذلك من فقدان توازن الحياة الإنسانية والبيئية والكونية.

اللغة وصناعة الحياة

إن اللغة تصنع الحياة أو تدمرها. ومن هنا كانت مسؤولية الكلمة في الإسلام جسيمة جدا، والإعلام اليوم هذا الذي يسمونه "السلطة الرابعة" ليس في واقع الأمر إلا السلطة الأولى، لأن المتسلط على الخلق، الحاكم أمرهم بالحق أو بالباطل، إنما وصل إلى مبتغاه من التسلط والتحكم بالكلمة. فحتى عندما يكون الأسلوب المتبع في التسلط قهريا فإنما صنع الطاغية أدوات قهره وتجبره في البداية بالكلمة، ولا شيء يبدأ قبل الكلمة، فَبَدْءُ الوجود والخَلْقِ والتكوين في القرآن الكريم إنما هو كلمة، إنها كلمتُهُ جل جلاله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال جل شأنه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ × إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ × فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(يس:81 -83).

إن الكلمة هي التي تصنع الصورة وتنتجها، بل هي جوهرها وحقيقتها؛ فلا يغرنك أن الإعلام اليوم صار يرتكز أساسا على الصورة، فإنما هذه -رغم خطورتها- بنت تلك في نهاية المطاف. ولولا الكلمات

تتمة :7

كلمة الله في معركة السلام (تتمة)

لما كانت الصور في الوجود أصلا. أضف إلى ذلك أن الصورة تُعْرَضُ حينما تُعْرَضُ في العادة الغالبة مسبوقةً بالكلمة أو مقرونة بها أو ملحقة بها أو كل ذلك جميعا. فلا تأتي إذن إلا من خلالها. وحينما نتوهم أننا نتلقى صورا بغير كلمات، فإنما هي لعبة الكلمة المتخفية خلف الصورة. إنك لا تسمعها، نعم؛ ولكنها تتدفق إلى خواطرك في صمت، وتسكن اعتقادك بقوة. ومن ذا الذي قال إن الكلمة هي الصوت فقط؟ إنما الكلمة "مفهوم" يتواصل به الإنسان عبر اللغة الطبيعية، الصوتية أو الإشارية أو الصورية أو السيميائية، إلى غير ذلك مما في الوجود من رموز وأشكال نُصِبَتْ للدلالة على معنى. كل ذلك كلام.

الكلمة هي الوجود

إن الكلمة هي الوجود وما سواها صُوَر. ومن هنا ترى عمق الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة:31)؛ فانظر -في ضوء ذلك- إلى هذا الكلام الإلهي العظيم، كم هو فعلا يضرب في عمق الحقيقة، وإلى أي حد هو يوغل في مجاهيل الوجود...

إن الإعلام اليوم كما كان من قبل في التاريخ -رغم اختلاف الأشكال والتجليات- ليعتبر أخطر وسائل التحكم، وأرهب أدوات الصراع الحضاري، وأقوى آليات التدافع العمراني في الأرض.

إن الذين قهروا الناس في الأرض عبر التاريخ لم يكونوا بشرا فوق البشر في أبدانهم ولا في عقولهم، ولا كانوا "آلهة" في واقع الأمر، وإنما هم "متكلمون" فقط. أسسوا أسطورة من الكلام في أذهان الناس وسحروهم بها، أو ورثوا رصيدا كلاميا عن آبائهم وأجدادهم واستمروا في إنتاجه وتجديده حتى تعيش الأسطورة في شعوبهم إلى الأبد؛ فكان منهم "ابن الشمس" و"حفيد الرب"، و"وكيل الآلهة"، وغير ذلك من سائر أنواع الكلام مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(الأعراف:116).

وما كان طغيان فرعون في الأرض واستذلال أهلها إلا من بعد أن أوهمهم بأنه هو ربهم الأعلى؛ فلم يكن يريهم إلا ما يرى ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى × فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾(النازعات:24-23) ومن هنا لما خالفه قائل الحق من رجاله نطق بقوة فقال، كما حكى الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر:29). فكان بذلك مثالا لكل طغيان وتأله وتجبر! ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:4).

إنه قهر القوة والسلطان الباطل، الذي يصنعه -فقط- سحر الكلام. وانظر إن شئت إلى هذا البيان السحري الرهيب الذي ألقاه فرعون على قومه من بعد ما زلزلت عرشَه آياتُ موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ × أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ × فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ × فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:51- 54). وتأمل جدا ما أعقب الله به خِطَاب فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فهو إنما استخف في الواقع عقولهم.

ولقد قرأت قصة طريفة مترجمة عن الكتابة الفرعونية القديمة رواها أحد أطباء فرعون. وذلك أنه تسلط ذات يوم على أحد الأغنياء فأراد أن ينتزع منه ضيعته، فلما أبى أن يتنازل عنها نكل به فرعون تنكيلا، فقطع أيديه وأرجله من خلاف، وألقاه على حافة الطريق، فصادف أن كان الطبيب مارا بعربته فوجده يئن في الظلام، فلما عرفه رَقَّ لحاله وحمله إلى بيته، ثم عالجه من آثار جروح البتر. ثم انقطعت صلته به بعد ذلك إلى أن مات فرعون. ولما كان يوم مراسم التحنيط والدفن على -عادة قدماء المصريين- والكاهن يلقي كلماته في رثاء فرعون، بما يصبغه عليه من رداء الربوبية المزيفة والألوهية المدعاة والعظمة المكذوبة، ويذكر من شيمه ما لا قِبَلَ للبشر به، إذا بالطبيب يجد من بين الحاضرين الرجل الغني الذي نكل به فرعون من قبل، وقطع أيديه وأرجله من خلاف، وجده يبكي بحرارة ويقول: ما كنتُ أعلم أن فرعون كان إلها مقدسا إلى هذا الحد، وكأنما يبكي ندما على ما فرَّطَ في جنب فرعون، ولم يكن له من الطائعين ومن عباده الصاغرين.

إن الإنسان لمّا يتوهم أنه مغلوب على أمره، أو أنه لا يستحق أن يكون حرا يخضع بصورة تلقائية لمن غلبه بهذه الأكذوبة.

من هنا كانت معجزة هذا العصر هي القرآن، القرآن بما يملكه من قوة خارقة في تحرير الإنسان من عبودية الشهوات التي تثقله إلى التراب، وتملي عليه تقديس الحياة الفانية، وتخضعه لمن يهدده بالقتل والتشريد فيها. القرآن بما يملكه من سلطان رباني على النفوس يجعلها تبصر حقيقة أنه لا إله إلا الله الواحد القهار حركة حية أبدية في الكون وفي التاريخ، وأن كل استكبار من دونها هو محض افتراء وهراء. القرآن بما له من خاصية التحويل الوجداني العميق لمسار الإنسان؛ من جرْمٍ جزئي ضئيل يدور في فَلَكٍ قصير من متاع الدنيا الشهواني؛ إلى كائن كوني كبير يدور في فَلَكِ الملكوت الرباني الفسيح، في سيره العظيم إلى الله.. حيث يرى بعين القرآن واستعلاء الإيمان كيف أن كيد الشيطان كان ضعيفا حقَّ ضعيف، وكيف أن المعركةَ كونيةٌ، يقودها الله رب العالمين.

---

(1) قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق:18) هو من العام الذي أريد به الخصوص، إذ علم في الدين أن القول غير المبني على قصد لا يدخل في دائرة المحصى على ابن آدم، ولذلك فالقول المقصود هنا هو الكلام المفيد قصداً ومعنىً.

مجرد رأي

ألا إني قُسِّمْتُ يوم قُسِّمَ السودان...!!!

هي مقولة - سيأتي علينا حين من الدهر غير بعيد- سنرددها بكثير من الحسرة وغير قليل من الألم والغبن. لقد بدأ بالفعل منذ صباح الأمس العد التنازلي للعملية القيصرية لبلقنة الدول العربية والإسلامية وجعلها كيانات صغيرة جدا لا تكاد تظهر على خارطة دول الاستكبار العالمي. وإنه لأمر دبر بليل منذ سنوات، منذ أن بشرت الآنسة كندي (كونداليسا رايس وزيرة خارجية أمريكا على عهد جورج بوش) بما أسمته وقتها بالفوضى الخلاقة. فهاهي ذي الفوضى الخلاقة تعمل مبضعها في السودان كخطوة أولى قد تليها خطوات أشد وأنكى ما لم يستفق العرب والمسلمون لما يراد ويحاك ضدهم.

والبدء بالسودان لم يأت اعتباطا وإنما جاء نتيجة لتخطيط مدروس ومكيدة محكمة إحكاما شديدا تولى كبره أمريكا وإسرائيل من جهة والاتحاد الأوروبي المسيحي من جهة ثانية.

وما دام الأمر كذالك، فلماذا السودان وليس أي دولة عربية أو إسلامية أخرى؟؟!!

فاختيار السودان تحكمت فيه عوامل شتى أحصرها في أربعة عوامل أساسية :

أولا : فالغرب المسيحي بشقيه الأوروبي والأمريكي كان دائما يخشى من انتشار الإسلام في وسط وجنوب إفريقيا، وقد تم التعبير عن هذه المخاوف صراحة في المؤتمر الإرسالي العالمي بأدنبرة سنة 1910، حيث قال يومها رئيس الأساقفة (إن أول ما يتطلب العمل به إذا كانت أفريقيا ستكسب لمصلحة المسيح أن نقذف بقوة تنصيرية قوية في قلب أفريقيا لمنع تقدم الإسلام)، فبتقسيمه للسودان إلى شمال مسلم وجنوب مسيحي سيضمن الغرب المسيحي ومعه الكيان الصهيوني أمورا ثلاثة :

× وقف الزحف الإسلامي نحوالوسط والجنوب الإفريقي.

× منع أي دعم أو تواصل بين المسلمين في الشمال وإخوانهم المضطهدين في وسط وجنوب إفريقيا.

× إضعاف دول الشمال المسلم وإبقائها فريسة لدوامة الهلع والخوف وعدم الاستقرار من خلال تصدير كل أنواع الاضطرابات والفتن والقلاقل انطلاقا من الدولة المسيحية الهجينة التي يراد خلقها في خاصرة السودان لجعلها مرتعا خصبا لأجهزة الاستخبارات العالمية على اختلاف ألوانها وأشكالها ومكائدها.

ثانيا : إن للبترول المكتشف حديثا في جنوب السودان لجاذبية خاصة بالنسبة للوبيات البترول عبر العالم وبالأخص في أمريكا التي قال عنها جورج بوش ذات غزو للعراق (AMERICA IS ADDICTED TO PETROL)

بمعنى أن أمريكا مدمنة على البترول. فهذا البترول الموجود بكميات وافرة في جنوب السودان (350 ألف برميل يوميا) يسيل لعاب كبريات الشركات العالمية في دول الاستكبار الصليبي، وإذا أضفنا إلى ما سبق وجود كميات كبيرة من الأورانيوم بدارفور، سنفهم وقتها ما ينتظر المنطقة من مشاريع تقسيم وبلقنة جديدة وسنفهم أيضا معنى القصعة التي وردت في الحديث الشريف.

ثالثا : تقسيم السودان سيمكن دول الاستكبار المسيحي ومعه إسرائيل من السيطرة على منابع النيل وبالتالي الضغط الشديد على كل من مصر وشمال السودان سياسيا وبالتالي سيصبح مصيرهما مرهونا بالدول المسيطرة لتتم مقايضة مواقفهما إزاء القضايا المصيرية للأمة أمرا واردا في كل لحظة وحين. هذا علاوة على أن جزءا غير يسير من هذه المياه العذبة ستجد طريقها إلى إسرائيل حتى تروي ظمأ مستوطنيها وهو ما كانت إسرائيل تحلم به كخطوة أولى تمهيدا لتحقيق الحلم الأكبر (من النهر إلى النهر).

رابعا : تهدف دول الاستكبار المسيحي من وراء تقسيم السودان إلى العمل على الاستفادة من خصوبة أراضيه الجنوبية وترجمة مقولة الخبراء بـ(أن السودان سلة غذاء إفريقيا) إلى واقع ملموس من أجل توفير الغذاء لكل الدول المشاركة في هذه الجريمة مع الإبقاء على شمال السودان المسلم في دائرة الجوع والفاقة وإغراقه بالفتن والحروب الأهلية -لا قدر الله- وما خفي أعظم وإنا لله وإنا لله راجعون.

ذ. عبد القادر لوكيلي

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية...﴾

تعازي

أم الدكتور عبد الحميد أسقال في ذمة الله

تلقينا بأسى عميق خبر وفاة أم أخينا الدكتور عبد الحميد أسقال بوجدة وذلك يوم الأربعاء 7صفر 1432هـ الموافق لـ 2011/1/12 .

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم المحجة إلى الأخ عبد الحميد بأحر التعازي سائلين المولى عز وجل أن يشمل الفقيدة برحمته وعفوه ويسكنها فسيح جنانه، وينزل على ذويها وأبنائها السكينة والصبر والسلوان. و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

تعازي

زوجة الأستاذ علي علمي الشنتوفي في ذمة الله

كما تلقينا ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة زوجة أخينا الأستاذ علي علمي الشنتوفي، بعد مرض لم ينفع معه علاج ليلة الجمعة 9 صفر 1432هـ الموافق لـ2011/1/14.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم المحجة إلى شيخنا الأستاذ علي بأحر التعازي سائلين الله عز وجل أن يتقبل الفقيدة في جواره ويقابلها بعفوه وإحسانه، ويسكنها فسيح جنانه ويرزق أهلها وذويها الصبر والاحتساب ويلحقنا بعدها مسلمين تائبين طائعين. و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية. ■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: **2111113412900014**

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

تخليداً لذكرى الهجرة النبوية الشريفة نظم المجلس العلمي لفاس يوم 25 محرم 1432هـ ندوة في موضوع : "الهجرة النبوية سبيلنا إلى استنهاض الأمة الإسلامية".
وقد ترأس الندوة الدكتور الوزاني برداعي في حين شارك العلامة عبد الحي عمور بمداخلة اختار لها عنوان : "قيم الهجرة سبيلنا إلى استنهاض الأمة" تلاه الدكتور عبد الحق ابن المجدوب الذي اختار الحديث عن : "أسس بناء الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة".
وأما الدكتور محمد أبياط فقد سَلك شعْبَ الجمهور الحاضر وآثره على نفسه في سابقة هي الأولى من نوعها، لقد طلب من كل الحاضرين أن يتناولوا ورقة وقلماً لتدوين أسئلة ألقاها على مسامعهم بخصوص موضوع الندوة وطلب من مسيرها أن يتولى تدبير شؤون هذه السنة الحسنة التي تفاعل معها الجمهور واستحسنها بعد أن فسحت له المجال للتعبير عن رأيه.

● متابعة : **عبد الحميد الرازي**

قيم الهجرة سبيلنا إلى استنهاض الأمة

العلامة عبد الحي عمور
رئيس المجلس العلمي لفاس

إن لله تعالى في أمة الإسلام أياما مجيدة، وللإسلام في هذا العالم ذكريات عظيمة لا تبلى مع مرور السنين والأعوام، ويحق للمسلمين أن يعتزوا بها كلما حلت، ويستحضروا مغازيها وعبرها وقيمها كلما أهلت. يجددون فيها العهد مع دينهم بما يرفع من شأن حياتهم ويطهر نفوسهم ويعيد إليها الصفاء والنقاء والطهر، ويضفي عليها الخير والبركة والنماء، ويحيي فيها روح المودة والإخاء، ويجعلها في مرضاة الله وطاعته.

ومن هذه الذكريات المجيدة العطرة، الحافلة بالدلالات والعبر الزاخرة والمغازي والقيم، ذكرى الهجرة النبوية التي تحل علينا كل عام، فتحيي النفوس، وتستنهض الهمم وتذكي المشاعر، وتقوي الإيمان، وتنتشي بأريجها القلوب المومنة، والنفوس المطمئنة، يجدد المسلمون فيها صلتهم بربهم التي لا تخضع الرقاب إلا له تعالى، ويحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ويزنوا أعمالهم قبل أن يوزنوا كما قال الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

إن خلود هذه الذكرى وإحياءها والاستبشار ببزوغ فجر جديد لها، له دلالات كثيرة وعبر عديدة وقيم خالدة ينبغي أن تستحضرها النفوس، وتسترشد بها العقول في زمن استغفلتنا فيه دوامة الحياة فشغلتنا عن بعض حق الله علينا وواجبنا إزاء أمتنا الإسلامية.

إن الذكرى ترمز في تاريخها البعيد إلى بداية نشأة هذه الأمة التي بدأت بالهجرة النبوية الشريفة، وبداية تقويم تاريخها. تلك الهجرة "الوداع الحزين" الذي عبر عنه ﷺ بقوله: «والله إني لأخرج منك وإني لأعلم يا مكة أنك أحب بلاد الله إلى الله تعالى ولولا أن قومك، أخرجوني منك ما خرجت».

وبداية تاريخ أمتنا بهجرة الرسول يكشف عن معاني كثيرة وقيم جليلة ما ينبغي أن تغيب عنا بل يجب أن نستحضرها ونشيع دلالتها وآثارها بيننا ونتخذ منها منارات وهدايات لاستنهاض أمتنا وإعادة بناء وحدتنا الإسلامية وسوف أتوقف عند بعض تلك القيم والدلالات التي أثمرتها الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة:

أ- الاستخلاف الرباني لأمة الإسلام:

كان الأذى والظلم الذي مارسه كفار قريش على المسلمين المستضعفين في مرحلة الدعوة بمكة المكرمة من دواعي الهجرة التي أثمرت تأسيس الأمة حيث بداية النصر والتمكين الرباني، والاستخلاف الإلهي لأمة الإسلام، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾ إنه الاستخلاف الرباني للمسلمين ولأمة الإسلام على من في الأرض جميعا، يبلغون الرسالة ويؤدون الأمانة، لأن **الله تعالى أوكل الاستخلاف لمن آمن به وبرسوله، وهو استخلاف ومسؤولية وعهد، ما يزال قائما إذا أخذ المسلمون بأسباب القوة والمنعة والعزة والنصر، وتمسكوا بحبل الله المتين وشريعة نبيه الأمين** وهذا يعني من جهة أخرى أن مقادير العالم ومصائر ومرتبطة بأحوال هذه الأمة الإسلامية حتى ليمكن القول بأن ما تعرفه البشرية اليوم من منكرات وشرور وانحرافات، الأمة الإسلامية مسؤولة عنه بحكم أنها لم تعد تمثل الاستخلاف الرباني كما أورثه الله تعالى لهذه الأمة. وفي الهجرة دلالة على حركية الإسلام ودوامه وبقائه، وضرورة استمرار الدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ب- الهجرة النبوية وبداية التغيير:

بدأ المسلمون المهاجرون والأنصار في المدينة حياة جديدة لا خوف فيها، وتهيأ للمسلمين أن يقيموا حياتهم على أساس دينهم وعقيدتهم في اطمئنان بعد خوف وفي حرية بعد عبودية، وكان لهذه الحرية في إقامة الشعائر الدينية أثر كبير في نشر الدعوة وتوطيد دعائمها.

وكان التغيير الذي أحدثته الهجرة في الحياة العامة شاملا وعاما، لحق الجانب الاجتماعي والأخلاقي والسياسي ظهرت ملامحه وتجلت معالمه عند بداية التطبيق الفعلي لآيات القرآن الكريم في المدينة المنورة، وبدأ بناء مجتمع جديد يستمد قوانينه وضوابطه وتشريعاته من القرآن الكريم يزيل ما بقي من آثار الجاهلية في يثرب، ويؤسس لمجتمع إسلامي قائم على الوحي الإلاهي بقيادة رسول يباشر التشريع ويحكم ويضع أساس بناء الدولة الإسلامية مع صحابته الكرام، فكان بحق مجتمعا مدنيا قائما على البلاغ القرآني والهدي النبوي والصحب الكرام من المهاجرين والأنصار حيث خاض الجميع معارك التحول الاجتماعي والاقتصادي والاجتماعي تحرسهم عقيدتهم ودينهم ويقودهم نبي كريم.

ج- عقيدة المومن أساس قيام الأمة :

ومن أجل قيم هذه الذكرى، ومغازيها وعبرها أنها وحدت بين المسلمين وجعلت أخوتهم الحقيقية وآصرتهم التي تجمعهم، هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن ثم فإن الذي يربط المسلم بأخيه المسلم في شريعة الإسلام بداية، هو العقيدة والإيمان والدين، حتى إن رابطة العقيدة الإسلامية أقوى من رابطة الجغرافيا والتاريخ بل من رابطة الدم والنسب عند الله تعالى، ولنستحضر في هذا قصة سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه إذ قال نوح مخاطبا ربه:"رب إن ابني من أهلي" يريد نجاته من الطوفان، فيأتي الرد الإلاهي ليبين في أسلوب تأكيدي العلاقة الحقيقية التي تربط الأب بابنه:"يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح" هكذا لم يعد الابن ابنا لأبيه بسبب اختلاف العقيدة، وعدم الإيمان بما جاء به نبي الله نوح عليه السلام ومثل هذا قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه "آزر" حيث يقول رب العزة: ﴿فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾(التوبة:114).

هذه القيمة الإسلامية الإنسانية تعني القضاء على العصبية القبلية والسلالية والعرقية التي هي من دعوى الجاهلية والوثنية، فلا مكان بين الإخوة المسلمين لإحياء النعرات والإثنيات، فلقد تبرأ رسول الله ﷺ من كل هذه النعرات الضالة المضلة حيث قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من مات على عصبية».

لقد جعل الله من الإيمان ملتقى كريما للأسرة الإسلامية، فالعقيدة هي النسب والقرابة والأهل والوطن، وبدون العقيدة الصحيحة المصحوبة بالعمل الصالح: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ تتفكك الأسرة والجماعات والأمة، وهذا ما هو عليه حال الأمة الإسلامية الآن، من تفرق وتشتت وتمزق وخصومات، وعداوات، وضعف العقيدة هو السلاح الذي استعمله المستعمرون لتفريق الشعوب الإسلامية في الوطن الواحد حيث أخذوا يفرقون بين أصحاب العقيدة الواحدة بهؤلاء فراعنة وهؤلاء عرب وهؤلاء برابرة... معتمدين على مبدإ "فرق تسد".

فليذعن دعاة التفرقة في هذا البلد الأمين لحكم الله إن كانوا مسلمين حقا وليومنوا بسنته في الأرض، فلقد جعل الله من الإيمان الإسلامي ملتقى كريما لأمة الإسلام ورباطا يجمع شتات المسلمين ويقوي صفوفهم ويوحد كلمتهم، وصدق الله تعالى القائل في محكم كتابه: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(النور :63).

د- قيمة المساواة :

من القيم النبيلة التي برزت وكانت وليدة الهجرة النبوية قيمة المساواة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار فلا فضل في المجتمع المسلم لعربي على عجمي إلا بالتقوى وصالح الأعمال: الناس سواسية كأسنان المشط.

وقد تجلت هذه القيمة في مجتمع الإيمان المدني ووجدت السبيل لتطبيقها في حياة الناس جميعا وضم المجتمع المدني الجديد كل الفئات والجنسيات والقبائل والعشائر والألوان من غير تفرقة، فتعايش في صفاء ومودة وإخاء، العربي القريشي مع اليمني والحبشي كبلال مع الرومي صهيب، وسلمان الفارسي الذي قال عنه الرسول ﷺ : «سلمان منا آل البيت» مما تجسدت معه عالمية الإسلام: أجناس وألوان وأنساب ولغات...كلها تتلاقى في مجتمع المدنية وتعمل من أجل نصرة الإسلام تحت راية واحدة وشعار: العقيدة توحدنا والوطن يجمعنا عكس ما أصبحنا نسمع اليوم من العلمانيين وخصوم الإسلام من أن الدين يفرقنا والوطن يوحدنا.

وإن استعادة هذه القيمة: قيمة المساواة مما يجب أن نستحضره في هذه المناسبة: ذكرى الهجرة لتوحيد الصف الإسلامي المتطلع إلى فجر جديد ونهضة إسلامية جديدة تنبعث من ضياء الإسلام وآفاقه الرحبة.

هـ- تنقية العقيدة وتجديد الدين:

إن الهجرة النبوية ليست حادثة عابرة تروى على الأسماع، وقصة تاريخية تردد فصولها الأفواه، لكنها اليوم وفي عالم طغت فيه الماديات على الحياة وضمرت في الإنسان أثر النفحة الربانية والنفخة الإلهية في الأرواح: "حتى إذا سويته ونفخت فيه من روحي"، حق علينا أن نوثق من جديد، صلتنا بديننا ونجدد عقيدتنا مما أصابها من ضعف ووهن، ونحيي ما اندثر من تعاليم ديننا ونخلصه من الأضاليل والأباطيل التي رانت على تديننا بسبب طول عهدنا بهذا الدين، والذي حذرنا منه رب العالمين بقوله عز من قائل: ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾(الحديد:15).

والحمد لله الذي جعل تنقية العقيدة وتجديد أمر الدين من خصوصيات هذه الأمة، وسنة من سنن الإسلام، يقول الرسول ﷺ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها "ومتى كان ذلك، بدأت تباشير النصر والعزة والمنعة"إن تنصروا الله ينصركم».

والنصر آت بحول الله وقوته على الرغم مما عليه أحوال أمتنا الإسلامية من ضعف وتخلف وتشرذم، فمع ما هي عليه فإن الله تعالى أخبرنا بأننا الأمة المنصورة وإننا الأمة التي كتب لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وأن ديننا وشريعتنا ستعم العالم، ذلك أن الله تعالى تعهد بحفظ كتاب هذه الأمة وأنه سيبقى الوثيقة التي لا يصيبها تحريف أو تغيير:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ومعنى حفظ الكتاب، بقاء رسالته وهيمنة شريعته وحضارته ولغته على العالم، يقول تعالى مخاطبا صاحب الذكرى: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾(آل عمران: 55).

وهذا ما أخبرنا به الصادق المصدوق حيث قال ﷺ :«والله ليبلغن هذا الأمر (الدين) ما بلغ الليل والنهار، ولن يبقى أهل مدر ولا وبر إلا دخلوا في الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل»(أحمد في مسنده).

وهذا يعني أننا نمتلك أسباب النهوض والعزة والمنعة، وأن محاولات النيل من هذا الدين بضغط أعدائه وخصومه، سيزيده قوة ونماء وانتشارا، فما علينا إلا أن ناخذ بالأسباب ونتعامل

تتمة :ص 9

أسس بناء الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. عبد الحق ابن المجدوب الحسني

قبل الحديث عن هذه الأسس، وقبلها الحديث عن ظروف الهجرة وملابساتها، والحالة المزرية التي عاشها المسلمون بمكة المكرمة.
علينا أن نذكر بادئ ذي بدء أن الله سبحانه وتعالى ما شرع هذه الهجرة وأذن بها إلا ليعبد المسلمون ربهم بأمان، ويقيموا كيان دولة إسلامية قوية لنشر دينه القويم، وأن الأخذ بالأسباب، وأخذ جميع الاحتياطات تشريعا للأمة، لا يتنافى مع التوكل على الله والاعتماد عليه. وقد ارتأيت بعد هذه المقدمة المقتضبة، أن أقسم هذه المداخلة إلى قسمين، أحدهما للحديث عما قبل الهجرة، وثانيهما عما بعد هذه الهجرة المباركة فأقول وبالله التوفيق.

1 – الحالة المزرية للمسلمين بمكة قبيل الهجرة :

ظل القرشيون يسخرون من رسول اللهﷺ وأتباعه، ويحتقرونهم، ويستهزئون منهم ويكذبونهم، ويشوهون تعاليم الإسلام ويعارضون القرآن بأساطير الأولين... بل سلكت قريش ضد المسلمين كل أساليب الإرهاب والحصار والمضايقة وسياسة التجويع والمقاطعة.. وأذاقتهم كل الويلات وشنت عليهم حربا نفسية مضنية، وعندما هاجر بعض المومنين صادرت قريش أرضهم وديارهم وأموالهم وحالت بينهم وبين أزواجهم وذرياتهم، بل بلغ بها الحد أن تآمرت على صاحب الدعوة للقضاء عليه، وما كان ذلك كله ليصده عن مبدئه أو يمنعه من الاستمرار في تبليغ رسالة ربه.

2– الهجرة إلى المدينة المنورة وملابساتها :

لما شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم، صاروا يبحثون عن أنجع الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام محمدﷺ. وعندما تم اتخاذ القرار الغاشم بقتل الرسولﷺ نزل إليه جبريل عليه السلام بوحي من ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة. وفور ذلك أخبر أبا بكر وأبْرَمَ معه خطة الهجرة. قال ابن إسحاق : "فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى نام فيثبون عليه". ولكن الله غالب على أمره، بيده ملكوت السماوات والأرض، فقد فعل ما خاطب به الرسول ﷺ فيما بعد : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فأنجى الله رسوله وصاحبَه وأفشل خطة الأعداء الذين جن جنونهم حينما تأكد لديهم إفلاتُ الرسول ﷺ، وبعد ضرب علي كرم الله وجهه، ولطم خد أسماء بنت أبي بكر من طرف أبي جهل، قررت قريش إعطاء مكافأة ضخمة، قدرها مائة ناقة بدل كل من رسول الله وصاحبه لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائنا من كان... وكانت المحاولات الجادة الكثيرة.

وفي يوم الاثنين 8 ربيع الأول سنة 14 من النبوة نزل الرسول بقباء وأقام بها أربعة أيام، وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة.

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة، ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول ﷺ. وكان يوما تاريخيا أكثر، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس، وكانت بنات الأنصار تتغنى بالأبيات الشهيرة فرحا وسرورا بقدوم خاتم الأنبياء والمرسلين.

3– بناؤهﷺ الأسس الأولى للمجتمع الإسلامي :

لقد كانت هجرة رسول اللهﷺ إلى المدينة، تعني نشأة أول دار إسلامية إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذانا بظهور الدولة الاسلامية بإشراف منشئها الأول محمدﷺ، ولذا فقد كان أول عمل قام به ﷺ أن أقام الأسس الهامة المتمثلة في هذه الأعمال الثلاثة :

● الأساس الأول بناء المسجد ودوره في الإسلام :

بمجرد وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة واستقراره فيها عزم على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك يتألف من الأنصار والمهاجرين الذين جمعتهم المدينة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر بناء المسجد.

ذلك أن المسجد هو بيت الله وأقدس الأمكنة وأطهرها، إذا كان قد أعد في الأصل للصلاة والعبادة، فدوره في إصلاح المجتمع أصيل خطير لأنه المؤسسة الإسلامية الأولى التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية عند المسلمين، ولأنه المؤسسة الكبرى المخصصة للعبادة والتعليم والقضاء، وهو أيضا جهاز الدعوة الأكبر، ومصدر العلم والهداية والوعظ والإرشاد والتبليغ والتوجيه وكل أعمال الإصلاح الاجتماعي عبر تاريخ الإسلام الطويل.

لقد ظلت وظيفة المسجد هي العبادة والتعليم والمدارسة، ومقر القيادة والرياسة طول مدة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وكذلك كان الشأن في خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واتسعت دائرة العلوم التي تدرس في المسجد بعدهم حتى شملت كل المعارف الإنسانية، إذ كان المسجد موضوعا لأمر جماعة المسلمين وكل ما كان من الأعمال التي تجمع منفعة الدين وأهله.

ينبغي أن ندرك أنه بغير المسجد لا يمكن للفرد أن يتربى روحيا وإيمانيا وخُلقيا واجتماعيا، وبغير المسجد لا يسمع الفرد صوت النداء العلوي (الله أكبر) يجلجل في سماء الدنيا فيهز المشاعر ويحرك أوتار القلوب. وبغير المسجد لا يتعلم المسلم أحكام الدين وتنظيم الدنيا، وأمور الحلال والحرام، ومناهج الحياة ودقائق الشرع وبغير المسجد لا يتلقن المسلم القرآن الكريم، ولا يعرف أسباب النزول، ويفهم لطائف التفسير، وبغير المسجد لا يمكن للمسلم أن يتعاطف مع أخيه المسلم، وأن تتفاعل نفساهما على أسس المحبة والرحمة والتعاون والتكافل.

إن المسجد في الاسلام من أهم الدعائم التي قام عليها تكوين الفرد المسلم، وبناء المجتمع المسلم في جميع العصور عبر التاريخ الطويل.

ولا يزال المسجد من أقوى الأركان الأساسية في تكوين الفرد والجماعة وتكوين المجتمع المسلم الراقي في حاضر المسلمين، وسيبقى كذلك في مستقبلهم إن شاء الله تعالى.

● الأساس الثاني المؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة :

فالأخوة هي من الأمور التي بدأ بها ﷺ إذ وطد صلة الأمة بعضها ببعض، فأقامها ﷺ على الإخاء الكامل، الإخاء الذي ينتقي ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها فلا يرى لنفسه كيانا دونها ولا امتداداً إلا فيها.

وقد أعطت هذه المؤاخاة نتيجتها بأن أذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد ولا يتقدم أحد إلا بمروءته وتقواه... وكان ﷺ الأخ الأكبر لهذه الجماعة المومنة لم يتميز عنهم بلقب إعظام خاص، لأن محمداﷺ كان إنسانا تجمع فيه ما تفرق في عالم الإنسان كله من أمجاد ومواهب وخيرات. فكان صورة لأعلى قمة من الكمال، وقد ظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة في توارث التركات إلى موقعة بدر حيث نزل قوله تعالى : ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. إن الله بكل شيء عليم﴾ فألغي التوارث بعقد الأخوة ورجع إلى ذوي الرحم.

ومما يمكن أن يستنتجه المرء من هذه المؤاخاة، هو يقينه ﷺ أن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة. فكل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخي الحقيقية، لا يمكن أن تتحد حول مبدإ ما. وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف فيها أمة.

وهكذا يبدو أن حس الإخاء والتضامن، وحس التكافل وحس الجسد الواحد، وحس الأمة الواحدة، وحس المصير المشترك هو الذي بنى مجد الإسلام وحقق انتصاراته وسيادته، وهو القادر اليوم وفي أي زمن على بعث أمجاد الإسلام، وتحقيق النصر والعزة والكرامة للمسلمين إذا أعدناه إلى مكانه في قلوبنا، وفي عقولنا، وفي مشاعرنا وأعمالنا.

● الأساس الثالث : الوثيقة التي حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة.

عندما جاء النبي ﷺ المدينة، وجد بها يهودا توطنوا ومشركين مستقرين، فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل عن طيب خاطر وجود هؤلاء وأولئك وعرض عليهم معاهدة تقضي أن لهم دينهم وله دينه، وأن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة، وقد نطقت هذه الوثيقة برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي المعادين ومدبري الفتن أيا كان دينهم، وقد نصت هذه المعاهدة بوضوح على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو، كما جاءت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها.

ولقد كان بالإمكان أن تؤتي هذه المسألة العادلة ثمارها فيما بين المسلمين واليهود، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة، فما هي إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعا بما تضمنته بنود هذه الوثيقة التي التزموا بها فخرجوا على الرسولﷺ والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة مما كان سببا في عدة غزوات...

وشاءت إرادة الله بعد الهجرة إلى المدينة المنورة أن يشع من هذا المجتمع الجديد، نور الإسلام ليضيء جميع بقاع الأرض شرقها وغربها. فكانت الهجرة في الحقيقة النواة الأولى لتأسيس الأمة الإسلامية وكانت المدينة المنورة أولى عواصم الإسلام، منها انطلقت جحافل المسلمين تنشر دين الله ورحمته في كل مكان من هذا المعمور

قيم الهجرة سبيلنا .... (تتمة)

مع سنن الكون ونستثمرها في تجديد عقيدتنا وتنشيط قوة الإيمان في قلوبنا لمواجهة التحديات حتى نسترد عافيتنا ﴿وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : 11)

والخلاصة فإن القيم والمغازي والدلالات التي جاءت بها الهجرة النبوية وما اشتملت عليه من تشريعات ومبادئ وأخلاقيات رفيعة امحت معها أخلاق الجاهلية البائدة، وحلت محلها أخلاقيات القرآن من وفاء وأمانة وبر وتراحم وإيثار ﴿ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...﴾ (الحشر:10) هذه القيم حولت حياة الأمة إلى مجتمع تسود فيه المحبة والخير والتسابق إلى فعل المكرمات والبذل والعطاء لم تشهده الدنيا قبل ميلاد هذا المجتمع الذي تولد عن الهجرة وتشبع بقيمها واهتدى بهدي نبيها.

وإن الأخذ بهذه القيم –وغيرها كثير مما يضيق المقام عن سرده –لاستنهاض الأمة، ضروري لحياة جديدة للمسلمين وإعادة بناء الأمة الإسلامية– فتلك القيم هي التي نقلت المسلمين من حالة الضعف إلى حالة القوة، ومن حالة التفرقة إلى حالة الوحدة ومن القلة إلى الكثرة ومن حالة الجمود إلى الحركة.

إن القيم والمبادئ والمفاهيم المشتركة التي تأسست عليه الأمة– هي التي تجمع الكلمة وتوحد الصفوف وتشد الشعوب والمجتمعات الإسلامية إلى بعضها في تماسك وتراص، فهي ميثاق ودستور ولكل أمة قيمها وثوابتها وخصائصها، والأمة التي تفرط في ثوابتها وقيمها، تبقى معرضة للتمزق والتفرقة والضياع والتبعية والذوبان في الأمم الأخرى، وتلك حالة الأمة الإسلامية.

الفقه التربوي وضرورته داخل الأسرة

ذ محمد بوهو
Al_qalsadi2006@hotmail.com

إن مسؤولية البيت في تربية الطفل وصياغة شخصيته، مسؤولية جسيمة وعظيمة، فالأسرة هي أول عالم يفتح الطفل فيه عينيه ويرتبط به، ويترعرع في أجوائه. وبقدر ما تكون الأسرة في المستوى المطلوب من الوعي والقدرة على تجسيد النموذج المثالي في السلوك، بقدر ما تستطيع أن تنجح في تربية سليمة وصحيحة، والعكس بالعكس..

فالأبوان يملكان في البداية أهم شروط ومؤهلات التربية. ولكن أي نوع من التربية يجب أن نهتم به؟ وماذا نريد أن نصنع من الطفل في المستقبل؟ هل نريد أن نصنع إنسانا يعتبر امتدادا لواقع المجتمع على عِلاَّته؟ أم نريد أن نصنع إنسانا يساهم في إصلاح الواقع، ويسعى إلى تنمية المجتمع في الاتجاه الإيجابي والفعال والشامل والمثمر؟

إن تحديد نوع الهدف الذي تسعى إليه الأسرة من وراء تربية الطفل يحدد نوع التربية ومنهجها وشكلها ولكن هناك مجموعة من العوائق تقف دون تحقيق الهدف المنشود، أهمها :

● أولا - الجهل وفقدان الوعي وانعدام الرؤية الواضحة، ذلك أن جل الآباء والأمهات يفتقدون الفقه التربوي الضروري والذي بدونه لا يمكن للأسرة أن تؤدي الدور المنوط بها.. والمقصود بالفقه التربوي هنا الاطلاع على الأساليب التربوية والتكوينية التي تتعلق بالطفل وتنشئته، فهناك عشرات الأسئلة والاستفسارات نزعم أنها غير مدروسة لدى جل الأسر المسلمة، أو أن معلوماتها مشوشة ومشوهة معتمدة على الرؤية العامية والسطحية أو التقليد والاقتباس غير المبني على التمحيص والدراية الصحيحة:

كيف نربي أولادنا في المنزل؟ وما الدوافع والوسائل التي نستخدمها للاستثارة والحفز؟ وما نوع ودرجات وتوقيتات الثواب والعقاب؟ وكيف يتوزع بناء القوة بين الأب والأم؟ وفي أي المواقف يظهر تأثير الأب أكثر وفي أي المراحل يظهر تأثير الأم أكثر؟ وما أنواع واتجاهات العواطف والمشاعر بين الوالدين و الأبناء؟ وفي أي مرحلة تبدأ المقارنة بالآخرين من الأقران أولا ثم الكبار ثانيا؟ وفي أي مرحلة يبدأ الصغار في السلوك بطريقة الكبار؟ وما الأساليب التي يعتمد عليها الطفل لاكتساب معارفه وتغيير اتجاهاته؟ وما الأساليب التي يعتمد عليها الآباء والأمهات لكي يساعدوا أولادهم على إنجاز واجباتهم المدرسية، وهل أمية الأم أو الأب عائق أمام هذا الجانب؟.. كيف نعالج الدلال والخجل وفقدان الثقة عند أطفالنا؟ كيف نستثمر دور الأسرة في التحصيل الدراسي؟ كيف نقلل من العوامل المؤثرة على القراءة عند أطفالنا؟ كيف ننمي حب القراءة عند أطفالنا؟ كيف نساعد أطفالنا على بناء شخصية متوازنة؟ هل لدينا القدرة على حل المشاكل الجنسية لأطفالنا وإيجاد حلول ناجعة له ؟كيف نبني وننمي القدرة على صناعة القرار عند أطفالنا؟..

من هنا نقول إن هناك إشكالا حقيقيا نواجهه في هذه الأمور.. ومنطق العقل يتطلب منا الاهتمام بهذه القضايا، بل إن مسؤولياتنا أمام الله أعظم وأجل ..

فالواجب أن يعلم الأبوان أن القيام بالتربية أحسن قيام رهين بالتزود بالقدر الكافي من الفقه التربوي الضروري والذي يمكن الاتفاق على تسميته:(المعلوم من التربية بالضرورة).. ويمكن تلخيص هذه النقطة في قولنا: **إن تربية الآباء والأمهات ضرورية لتربية الأبناء..**

● ثانيا- اختلاف الأبوان وعدم اتفاقهما على منهج التربية الواجب اعتماده داخل البيت، يؤدي بالضرورة إلى انحراف مسار العملية التربوية، وبالتالي الابتعاد عن التنشئة السليمة للأبناء..

● ثالثا- صراع الأبوين نتيجة عدم تفاهمهما بدافع الظروف النفسية والاجتماعية، وتشاجرهما أمام الأطفال، يؤول بسفينة الأسرة إلى الغرق والضياع التربوي والعاطفي.. وهنا نشير إلى قاعدة تربوية جليلة: "أمام الأطفال، نعم للحوار لا للصراخ"..

● رابعا- تدخل عناصر أخرى في التربية بشكل يخالف منهج الأبوين، كالجدة والجد وغيرها من أفراد الأسرة، له ما لا يغيب عن ذوي الألباب من الآثار التربوية السيئة على الناشئة..

● خامسا- عدم تجسد القدوة في الأبوين أو أحدهما، مما يجعل العملية التربوية برمتها في مهب الريح، لأن المقولات في واد والأعمال في واد آخر، وعيون الأبناء تنعقد على سلوكيات الأبوين قبل أن تهتم بخطاباتهم اليومية..

● سادسا- تسرب المؤثرات الخارجية بما تحمله من سلبيات ومحتويات تخالف ما يطمح إليه الوالدان خاصة في حالة غياب فعل الأبوين داخل مملكتهما الصغيرة..

×××

هذه بعض العوائق التي تفسد العملية التربية وتؤدي بها إلى فشلها وتفويت بلوغ مقاصدها. فكيف تستطيع الأسرة أن تتصدى لها وتتجاوزها؟

إنه موضوع جدير بالتأمل والبحث والتفكير..

إن الآباء و الأمهات يعرفون أن أسلوب التعامل سهل دائما في حالة فهمهم للابن ويعرفون أن أسلوب التعامل دائما صعب ومتعب ومعقد حين لا يفهمون الطفل. ويعاني الأمهات والآباء من محاولة الطفل كي يبدو إنسانا مستقلا، إنه يحاول أن يؤكد دائما أنه يميز بمفرده بين ما هو صحيح وبين ما هو خاطئ وهو يحاول دائما أن ينال إعجاب المجتمع وحبه وأن "يطير بالجناحين الخاصين به". والآباء والأمهات لا يعاشرون الأبناء طوال اليوم إذ أن هناك مجتمعا يرتبط به الأبناء ومن هذا المجتمع يختار الطفل لنفسه ألوان السلوك التي يفضلها، أي يتعلم من أبناء الحي ومن أصدقاء المدرسة ومن المدرسين ومن قواعد الدين الذي ينتمي إليه..

فلا بد إذن للمسلم الذي يريد أن ينشئ أولاده تنشئة سليمة على أساس من الإيمان والتقوى والجهاد المتكامل في الحياة، أن يعيد النظر في موقعه، وذلك بمعايشة الفكر التربوي المستند إلى المذهبية الإسلامية، والمطالعة المستمرة فيه، والاطلاع على كل جديد حسب ثقافته وطاقته الفكرية، ومعرفة الطرق والأساليب الهادمة لمقومات الأسرة.

فالأسرة المسلمة اليوم تحتاج إلى رب أسرة مسلم مثقف صادق، يربط بين الفكر والعمل في تناسق واضح هادف. فالواجب أن يكون رب الأسرة اليوم مدركا للتربية المجدية التي يجب أن تتبع في مثل هذه الأوضاع الأسرية المعقدة، ومن خلال عمليات الاختلاط الاجتماعي الذي تقوده تيارات فكرية متشابكة جدا ..

مفهوم التوازن والوسطية في الإسلام

ذ. عبد المجيد بالبصير

التوازن رديف الاعتدال، وهو في الاصطلاح الإسلامي إجمالا، الوسطية في الأمور بإعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، ويرد تفصيلا بمعنيين عظيمين:

المعنى الابتدائي

وهو مراعاته سبحانه للمعادلة ابتداء في ميزان الخلق والأمر، وهو عين حكمته سبحانه التي هي على الحقيقة "فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، بالقدر الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي" ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾.

ففي الخلق أي في جانب التكوين، يخلق سبحانه ما يشاء ويختار، مجريا له على نظام من الاتزان والاعتدال، شأن النظام الجاري في حركة الكون، وفي قانون الخلفية المنبثق عن نظام الزوجية، حفظا لأنواع المخلوقات من الاضمحلال. قال تعالى : ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون. وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾.

وقد أثبت محققو الإعجاز العلمي في القرآن، أن لفظ "كل" آخر الآيات، وارد في سياق التذييل، أي تعميم الحكم بعد إناطته ببعض الأفراد، بمعنى أن فعل السبح غير منحصر فقط في الشمس والقمر، وإنما يجاوزهما إلى سائر أجرام الفضاء وكهارب الأجسام، إذ كل له مداره الثابت، وفق ميزان الاعتدال الإلهي، لا يحيد عنه قيد أنملة، كما نص عليه إجمالا قوله سبحانه ﴿إن الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من احد من بعده﴾ إذ حقيقة الزوال الانحراف عن المدارات الثابتة، ومنه لغة زوال الشمس إذا انحرفت عن كبد السماء. فالمولى سبحانه وهو الرؤوف الرحيم يمنع هذا الانحراف(1) لئلا يقع الفساد والهلاك في المخلوقات إلى حين ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ حيث يجري نظام آخر على ميزان حكمته سبحانه.

وفي الأمر أي في جانب التكليف نجد الأمر والنهي منوطا بما في المقدور ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ أي ما يعادل مستطاعها وطاقتها، وذلك في كنف من التوازن بين التحريض على الامتثال بالترغيب، وبين التبغيض للانحلال بالترهيب ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾.

المعنى الابتغائي

وهو تكليف الإنسان بمراعاة الوسط فيما يتحراه من الأحوال والأقوال والأفعال، أي "عمل ما يجب، على الوجه الذي يجب، بالقدر الذي يجب، في الوقت الذي يجب"(2) ابتغاء التخلق بالحكمة. ﴿ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا﴾.

ففي العقيدة، وهي الأساس، تكتسب حقائق الإيمان بالمنهاج الوسط بين كفتي العقل الصريح والنقل الصحيح. قال أبو حامد الغزالي في خطبة **"الاقتصاد في الاعتقاد" "الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم"** فالنقل لا يتجدد الإيمان بإعجازه بغير إعمال العقل، والعقل لا يتسدد الوثوق بإنجازه بغير تصديق الوحي، إذ يرسم له الحدود المعتبرة عند الإعمال، على نحو حكمة البيروني في كتابه **"تحقيق ما للهند من مقولة"** "يكفينا معرفة الموضع الذي يبلغه الشعاع، ولا نحتاج إلى ما لا يبلغه، وإن عظم في ذاته، فما لا يبلغه الشعاع لا يدركه الإحساس، وما لا يحس به فليس بمعلوم"(3) إذ بمثل هذا نتذوق حلاوة الاعتدال في نحو ما أخرج البيهقي في شعب الإيمان من قوله ﷺ : «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله» أي في الذات والصفات الإلهية على الحقيقة، وإن عظم هذا الأمر في ذاته، لأنه فوق طاقة التصور، خارج عن طوق الإحساس، بل خارم لميزان التركيب الحسي والنفسي كما يستفاد من قصة موسى عليه السلام في موقفه الأول بجانب جبل الطور

جلال النور فوق الطور باق

فهل بقي الكليم بطور سينا

وفي العبادة، وهي أمارة صدق الاعتقاد، لا يتحقق التوسط إلا بترك العجز والتفريط باتباع الأهواء على نحو قوله سبحانه ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾ وكذا باجتناب الغلو والإفراط بما يؤدي إلى ملل القلب وتبغيض العبادة إلى النفس، وفي الحديث : «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك، فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى، فاعمل عمل امرئ تظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا»(4) فالسير إلى الله على طريق الدين المتين، يقتضي عبادته سبحانه بقصد ولين، حتى يأتينا اليقين ونحن راضون طائعون.

وفي المعاملة، وهي دليل صدق العبادة، يكون إضمار حب الخير بالسوية للنفس وللمؤمنين دليلا على كمال الإيمان «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ناهيك عن أن التوازن بين الأفعال وبين ردود الأفعال مع غير المسلمين مبني على مراعاة الإحسان والاعتدال في

تتمة : ص 11

مراعاة الإمام مالك مقاصد الشريعة في فقهه وفتاويه

عبدالكريم القلالي- ترجيست
Karim_kallali@targuistcity.net

المذهب المالكي أكثر المذاهب مراعاة لحكم الشريعة ومقاصدها، ويتجلى ذلك بوضوح في طبيعة الأصول التي قام عليها هذا المذهب، والتي كان الإمام مالك يبني عليها الكثير من أقواله وفتاويه؛ خاصة في الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات، ومنهجه في ذلك مستفاد من منهج السلف رضوان الله عليهم خصوصا عمر بن الخطاب وابنه عبدالله، فقد قرر منهجهم في أقواله وفتاويه، التي يسلك فيها مسلك التعليل ويراعي فيها المقاصد ومآلات الأفعال والنيات والعوائد والأحوال في مسائل الفتوى والأحكام؛ وبنى الكثير من فتاويه على أصل سد الذرائع الذي هو اعتبار للمآل في جلب المصالح ودرء المفاسد ويعد من القواعد الأساسية في فقه الشريعة. وقد قال الشاطبي: «إن مالكا حكم سد الذرائع في أكثر أبواب الفقه»(1).

والاعتماد على الذرائع سدا وفتحا من قبيل العمل المقاصدي الذي يراعي الجانب المصلحي للأحكام؛ حيث يتناول مبحث الذرائع الوسائل والطرائق وما تفضي إليه من نتائج وآثار من حيث التحليل أو التحريم، من حيث القصد وعدمه، أو من حيث العبادة والمعاملة أو من حيث سلامة الفعل وغيره، وما أشبه ذلك مما يفضي إلى غير المقصود الشرعي. ومن ثم قد أعطى الشارع حكم الأثر المترتب على الفعل لنفس ذلك الفعل، ولو كان الفعل في حد ذاته سليما من جهة الشرع» إذ أن ميزان التحكيم في شأن الفعل في هذه الناحية ليس هو ذات الفعل وإنما هو الأثر أو النتيجة التي أفضى إليها ذلك الفعل نفسه(2).

والاستحسان كان يراه: "تسعة أعشار العلم"(3)؛ لأنه يقوم على التيسير ودفع المشقة ورفع الحرج عن الناس.

وبين فارس المقاصد الإمام الشاطبي بعض معاني الاستحسان الذي هو أخذ بالمصلحة عند المالكية قائلا:

«الاستحسان في مذهب مالك: الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل دليل كلي. ومقتضاه: الرجوع إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس؛ فإن من استحسن لم يرجع إلى مجرد ذوقه وتشهيه، وإنما رجع إلى ما علم من قصد الشارع في الجملة في أمثال تلك الأشياء المفروضة، كالمسائل التي يقتضي القياس فيها أمرا إلا أن ذلك الأمر يؤدي إلى فوت مصلحة من جهة أخرى، أو جلب مفسدة كذلك، وكثيرا ما يتفق في هذا الأصل الضروري مع الحاجي، والحاجي مع التكميلي» فيكون إجراء القياس مطلقا في الضروري يؤدي إلى حرج ومشقة في بعض موارده» فيستثنى موضع الحرج، وكذلك في الحاجي مع التكميلي، أو الضروري مع التكميلي»4.

ومذهب مالك في المعاملات الوقوف على المعاني؛ بخلاف العبادات التي كان يقف فيها على النصوص(5).

وإذا كانت مقاصد الشريعة تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد؛ فإن الإمام مالك هو حامل لواء الأخذ بالمصلحة المرسلة؛ لأنه جعلها أصلا مستقلا بذاته ثم أكثر من الأخذ بها، واسترسل فيها استرسالا بليغا؛ حتى أنكر عليه بعض العلماء بعض وجوه أخذه بالمصلحة، وعدوا ذلك خروجا عن ربقة الدين وتشريعا بالتشهي والهوى.

والإمام مالك أبعد ما يكون عن ذلك.

وكان -رحمه الله- يراعي المصلحة في الحاجيات والضروريات.

وكذلك الشأن في الأخذ بسد الذرائع التي تقوم على قطع وسائل الفساد وسد أبوابها، وفتح أبواب المصالح وتيسيرها وذلك مقصد من مقاصد الشريعة.

وسد الذرائع فيه اعتبار للمآلات وجلب المصالح ودرء المفاسد، ما أمكن الدفع والجلب؛ فإنه لما كان مقصود الشريعة إقامة مصالح الدنيا على طريقة تحكم فيه بحكم الدين المسيطر على الوجدان والضمير، ودفع الفساد ومنع الأذى حيثما كان؛ فكل ما يؤدي إلى ذلك من الذرائع والأسباب يكون له حكم ذلك المقصد الأصلي، وهو الطلب للمصلحة، والمنع للفساد والأذى.

واعتبار أصل الذرائع بالسد أو الفتح يعد من وجه توثيقا لمبدإ المصلحة الذي استمسك مالك بعروته؛ فهو اعتبر المصلحة الثمرة التي أقرها الشارع واعتبرها ودعا إليها وحث عليها؛ فجلبها مطلوب، وضدها وهو الفساد ممنوع» فكل ما يؤدي إلى المصلحة بطريق القطع أو بغلبة الظن يكون مطلوبا بقدره من العلم أو الظن، وكل ما يؤدي إلى الفساد على وجه اليقين أو غلبة الظن يكون ممنوعا على حسب قدره من العلم» فالمصلحة بعد النص القطعي هي: قطب الرحى في المذهب المالكي، وبها كان خصبا كثير الإثمار(6).

ولعل أكثر الأبواب الفقهية التي حكم فيها مالك والمالكية سد الذرائع، هي: أبواب البيوع، والعقوبات، والمناكحات.

ففي مجال البيوع يبطل المالكية ومعهم الحنابلة : البيوع التي يظهر فيها القصد الفاسد، المخالف لقصد الشارع: كبيع العينة؛ فإنه يفضي إلى مفسدة الربا، وكبيع العنب لعاصر الخمر، وبيع السلاح لأعداء المسلمين، أو لأهل الفتنة والعدوان، وبيع أرض لتتخذ كنيسة؛ لما تجره هذه البيوع من مفاسد وأضرار ظاهرة.

أما الحنفية والشافعية: ففرقوا بين صحة العقد وفساد القصد؛ فالعقد عندهم صحيح ما دام مستوفيا لشروطه الظاهرية، والقصد أمره إلى الله...، ويظل المذهب المالكي رائد المذاهب في مراعاة المقاصد وبناء الأحكام عليها(7).

ومن أمثلة ذلك:

1- ما أورده مالك فيما يكره من بيع الطعام إلى أجل عقب إيراده قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار في النهي عن: بيع الرجل حنطة بذهب إلى أجل، ثم يشتري بالذهب تمرا قبل أن يقبض الذهب(8).

قال مالك -في تعليل ذلك-: وإنما نهوا عن أن لا يبيع الرجل حنطة بذهب» ثم يشتري الرجل بالذهب تمرا، قبل أن يقبض الذهب من بيعه الذي اشترى منه الحنطة» فأما أن يشتري بالذهب التي باع بها الحنطة إلى أجل تمرا من غير بائعه الذي باع منه الحنطة قبل أن يقبض الذهب ويحيل الذي اشترى منه التمر على غريمه الذي باع منه الحنطة بالذهب التي له عليه في ثمر التمر فلا بأس بذلك.

قال مالك: وقد سألت عن ذلك غير واحد من أهل العلم فلم يروا به بأسا(9).

فمالك فسر النص تفسيرا مصلحيا» ولم ير بذلك بأسا لعدم التهمة.

وعن مراعاة المالكية لمقاصد المكلفين يقول الدكتور الريسوني في حديثه عن اعتبار الشاطبي مقاصد المكلفين:

«ولكنه مدين في هذا-على وجه الخصوص-لمذهبه المالكي، الذي لم يقف عند حد العناية بمقاصد المكلفين فيما يسمى بالعبادات، ولكنه أولى العناية البالغة لمقاصد المكلفين في جميع أقوالهم وأفعالهم وعقودهم وتصرفاتهم...»(10).

وموطأ الإمام مالك يحتوي على مادة مقاصدية غنية تتجلى في كثير من أصوله: كالمصلحة، والاستحسان، وسد الذرائع، ومراعاة الخلاف.

وإذا أضفنا إلى هاته الأصول تطبيقاتها؛ فسنكون أمام مادة غزيرة جدا.

وسيتسع الأمر أكثر إذا أضفنا بعض عبارات الإمام مالك المعللة للأحكام والواردة في المدونة وهي آراء الإمام مالك الفقهية جمعها ودونها سحنون بن سعيد التنوخي.

ولخص الدكتور نورالدين الخادمي مظاهر المقاصد المستفادة من الأدلة الأصلية لدى المالكية؛ فأورد منها:

أولا: إقرار كبرى غايات الوجود الكوني وأهداف الحياة الإنسانية العامة المتمثلة في تثبيت الامتثال الكلي والانصياع التام إلى تعاليم المشرع الحكيم، وفي تحقيق صلاح الخلق وسعادتهم في الآل والمآل.

ثانيا: إقرار الكليات الخمس-حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال- التي روعيت في الكثير من أحكام الكتاب والسنة ومعلومات الإجماع والقياس.

ثالثا: إقرار علل الأحكام وحكمها الجزئية التي أنيطت بها أحكامها من حيث الوجود والعدم.

رابعا: إقرار كثير من المقاصد الإجمالية: التيسير-التخفيف-رفع الحرج- التي تظافرت كثير من النصوص والاجتهادات الشرعية على تثبيتها والاعتداد بها.

خامسا: إقرار وجوب الالتفات إلى المعنى والمقصد والروح وعدم الاقتصار على الظاهر والشكل والمبنى(11).

---

1 الشاطبي، الموافقات، تحقيق: عبدالله دراز، ج:4، ص:198.
2 نورالدين مختار الخادمي، المقاصد في المذهب المالكي(خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين)، ص:281.
3 علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، فصل: في اختلاف المتراهنين، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ج:1، ص:291.
4 الشاطبي، الموافقات، ج:4، ص:207.
5 وذلك لا يعني أن العبادات غير معللة أو لا حكمة وراءها» بل إن كثيرا منها تخفى حكمتها » وعدم معرفة بعض الحكم والغايات لا يعني عدم وجودها.
6 أبو زهرة، مالك عصره آراؤه وفقهه، ص:352.
7 الدكتور أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص:80.
8 الإمام مالك، الموطأ، باب: ما يكره من بيع الطعام إلى أجل،، ج:2، ص: 643.
9 المصدر نفسه.
10 الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص:317.
11 نورالدين الخادمي، المقاصد في المذهب المالكي، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين،ص:219.

مفهوم التوازن والوسطية في الإسلام (تتمة)

المنشط والمكره، سواء مع المسالم كما في قوله سبحانه "أن تبروهم وتقسطوا إليهم" أو مع المحارب في نحو قوله تعالى : ﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

وفي العوائد، وهي علامات جمالية التدين، ينبغي التعود على القصد والوسط فيما يتعلق بأمور المعاش نحو الإنفاق "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" وما يتعلق بهيآت الأشخاص في نحو المشي والكلام "واقصد في مشيك واغضض من صوتك" والأكل والشرب ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ واللباس والزينة بضوابطها الشرعية، فقد أخرج البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال "آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة" أي مرتدية ما يمتهن به في البيت من خلق الثياب، تاركة التزين على جهة زهد زوجها في الاهتمام بها(5) "فقال لها ما شأنك؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا" أي في شهوات النفس من الطيبات، إذ هجر الطعام والشراب بالصيام، والنوم والفراش بالقيام، وفي آخره "فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان"، فبين ﷺ أن الحقوق لا تتعارض ولا تتنافى وإنما تتكامل وتعاضد.

والخلاصة أن الوسطية استمتاع بالطيبات في اعتدال، ونبذ لأشكال الابتذال والاختلال، وهو معنى الحكمة الذي فقهه سلمان، وأقره عليه النبي عليه السلام، لأنه موافق فطرة الإسلام، بخلاف ما كان عليه أبو الدرداء وأم الدرداء رضي الله عنهما من حال، على تفاوت واضح بينهما في المقدار والدافع، فإنه انحراف عن روح الدين، ومقصود الشارع من المكلفين، ولذلك ورد النهي عنه بما يلي:

- التحذير من التنطع والغلو في الدين لقوله عليه السلام : «إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» وقوله ﷺ : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا.

- النهي عن تجاوز الحدود والتعمق في الأمور بما يفوت المقصود لقوله سبحانه على لسان نبيه عليه السلام ﴿وما أنا من المتكلفين﴾.

- النهي عن التشدد بتطلب المشقة في العبادات والقربات، درءا لمآل الفشل في إدامة الصبر على إقامة الدين لقوله عليه السلام "ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه".

- الترغيب في القصد ولو بالقليل بما يديم حفظ مقاصد الدين، ويثمر عن العبادات الشعائرية حكمها التعاملية. قال عليه السلام : «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل» وفي الأثر "خير الأمور أوساطها".

هذا ولعل كلا معنيي التوازن في الإسلام متضمن في قوله سبحانه ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ إذ الميزان أولا بالمعنى الابتدائي، وثانيا فثالثا بالمعنى الابتغائي(5).

1- ينظر موسوعة النابلسي على النيت "موضوعات علمية في الخطب".
2- ينظر مفردات الراغب مادتا وزن ثم حق.
3- نقلا عن قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن. ترجمة نديم الجسر.
4- أخرجه البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في باب القصد في العبادة.
5- ينظر تاج العروس مادة بذل.

الحرص على المنصب

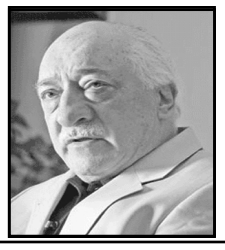

ذ. محمد فتح الله كولن

إلى جانب وجود بذور خير لكثير من الأمور في الإنسان وفطرته توجد بذور شر كذلك عنده من أجل تحقيق مصالح عديدة.

فمثلاً إلى جانب خصال الإخلاص والتضحية والوفاء والاستغناء وغيرها من الخصال الحميدة في الإنسان، نرى بجانبها في الأغلب حب المنصب وحب الجاه والشهرة وغيرها من الخصال السيئة التي تميت القلب وتشل الروح. لذا فعندما نؤسس علاقاتنا مع الناس يجب أخذ وجود هذه الجوانب والخصال بنظر الاعتبار لكي لا نُصاب بخيبة الأمل.

يكاد لا يخلو أحد من حب المنصب والشهرة، وذلك بدرجات متفاوتة. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبات عن طريق مشروع لدى الذين لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من هذه الأحاسيس والمشاعر أصبح من المحتمل انقلابهم إلى أشخاص ضارين لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه. ويشبه هذا القيام بمحاولة منع جسم مشبع بسائل من طرح هذا السائل خارجاً. مثل هذه المحاولة ستؤدي إلى توتر نفسي وضرر. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبة المضطربة في مثل هذه القلوب المضطربة وغير الناضجة والمغلوبة على أمرها بطريقة مناسبة لم يكن هناك مفر من وقوع أضرار في مجال الدعوة.

كل حركة تصدر من هذه القلوب الفجة وغير الناضجة وكل فعالية تكون غايتها إشباع هذه الرغبة النفسية. ومع أن هذا الأمر يُفسد الروح ويجرحه إلاّ أنه قد يؤدي أحياناً إلى درء بعض المفاسد وبعض الشرور في نهاية المطاف. لذا يعد أحياناً "أهون الشرين" بل قد يعد خيراً بطريق غير مباشر. فالذي وهب حنجرة قوية وصوتاً جميلاً فلم يقم باستغلال هذه الهبة في أغانٍ فاجرة تدعو إلى الفحش وتحرض عليه، بل قام بترتيل آيات الله أو أنشد مدائح للرسول [وأشبع رغبته عن هذا الطريق يكون أقل ضرراً، بل ربما كان عمله هذا خيراً محضاً بالنسبة للبعض.

الصدق والإخلاص هما روح كل عمل منفذ ومنجز، وهما أيضا صفة لمؤدي ذلك العمل. وكل عمل لكي يحوز على رضا الخالق وقبوله يجب أن يتم بصدق قلبي ودون انتظار أي مقابل، وألاّ يدخل ذلك القلب أي نية سوى نية نيل رضا الله تعالى. ولكن نجاح كل فرد في هذا الخصوص وبهذا المستوى ليس هيناً. لذا يقيّم هؤلاء بالكفة الراجحة عندهم من الخير والشر. أجل فهناك أمور تغلب فيها ناحية المظاهر إلاّ أنه لا يمكن الادعاء بأنها ضارة بمبادئنا وأفكارنا وبالناس ضرراً أكيداً.

قد يخلط هؤلاء رغباتهم الشخصية في الأعمال والخدمات التي يقومون بها، وقد لا يفكرون في رضا الخالق في كل حين، وقد لا يئنون ندماً أمام أخطائهم، ولا يعرفون مثل هذا الندم. إلاّ أنه لا يمكن القول أبداً أنهم في عقيدتهم وفي اتجاه سلوكهم ليسوا بجانب الحق تعالى.

ومع كل هذا إن قام كل فرد من الأفراد في جماعة تؤدي خدمات الإيمان بمحاولة تمثيل الجماعة في الساحة التي يعمل فيها بشكل مستقل، فسد نظام الجماعة وانقلب كل شيء رأساً على عقب، لأن الآخرين سيحاولون تقليده في رغبة الظهور والشهرة وهكذا تعُمُّ الفوضى، إذ ينفتح الباب أمام الحركات الفردية بسبب الأنانيات الشخصية، ويختلط الحابل بالنابل وتزول السيطرة المركزية وتنهدم تماماً.

إن قام أصحاب القابليات الكبيرة وأصحاب الكفاءات والحركة بطلب حصة الأسد حسب قابلياتهم وكفاءاتهم الشخصية في الحكومة أو في أي مؤسسة، أصاب الشلل تلك الحكومة ودالت تلك الدولة، وتحولت تلك المؤسسة إلى مخلوق غريب ذي مئة فم. فالحكومة تبقى قائمة ما دامت قواعد الأوامر والطاعة سارية وسالمة وموجودة كوجودها في الجندية والعسكر. وادعاء العكس إنكار صريح للمبادئ وللعناصر التي أمنت بقاءنا منذ مئات الأعوام وعدم رؤية لها.

يا ليت القلوب قنعت بما وهبها الله تعالى وبحثت دائماً عما يرضيه. ولكن الظاهر أن بعض القلوب الأنانية التي قنعت بالضوء الخافت للمصباح الذي يحملونه في أيديهم وأدارت ظهرها لضوء الشمس سوف لن تهتدي إلى الطريق الصحيح حتى تشفى من قصر نظرها

الحرية

د. محمد الحفظاوي

الحرية ذلك الطائر الجميل الذي يحلق في السماوات بتباه، تتعلق بمنظره عيون المحبين والعاشقين. ويأسف لفقده المأسورون المحرومون، ومن هؤلاء من يجاهدون لنيل الحرية فالحرية ليست منة ولا منحة ولكنها إنجاز وحق ينتزع كماهو الحال في فلسطين السليبة.

الحرية مسؤولية وممارسة أخلاقية تحترم الذات والآخرين معا، وليست فقط احتراما للآخرين كما هو في الفقه السياسي الغربي حيث يعتبرون الحرية عدم الإضرار بالغير، وإن أدى السلوك إلى الإضرار بالذات كالانتحار.

وفي المنطق "الإسرائيلي" إضرار بالغير وبالذات معا، ألا يضر اليهود الصهاينة بأنفسهم عندما يقتلون ويدمرون في فلسطين! وانظرإلى صنيعهم لقافلة الحرية التركية!

والحرية ليست مراعاة التراضي بين الطرفين فقط، بل لابد من رضا الشرع، فقد يتراضى الطرفان لفعل جريمة، ولتبادل الرشوة وهذا مالا يرضاه التشريع الإلهي.

إن الإنسان مخير في هذه الحياة بين حياة الحرية وحياة الاستعباد والاستعباد أنماط، والحرية فنون؛ ورب حال يجد فيها العبد الحرية يحسبها الآخرون قيوداً وعبودية، ورب حال يجد فيها العبد استعبادا وضيقا وقهرا يحسبها الناس رتبة علية ومزية؛ فمثال الأولى عبادة الله والالتزام بالدين وتعاليمه، ومثال الثانية المناصب والوظائف -المخالفة لرغبة واستعدادات الفرد- والأهواء. وامتلاك القوة والنفوذ لممارسة الظلم واقتراف المحرمات.

الحرية هي تحررك مما يضرك ولاينفعك في الدنيا والآخرة، هي التزام أخلاقي، وأداء قيمي تمليه الرسالة، ولكل رسالته في هذه الحياة فرسالة الفلسطيني مثلا تحرير أرضه من المحتل، ورسالة المعطل السعي للحصول على عمل شريف ومحترم،ورسالة الراعي نشر العدل والقسط في المجتمع، ورسالة الرعية الطاعة في المعروف والسعي في خدمة البلاد بكل مشاريع التنمية التي تفتقر إليها البلاد الإسلامية.

قوة الحرية في كونها تعبير عن شجاعة صاحبها واحترامه لآدميته، فهو يسعى في هذه الحياة محددا لنفسه رسالة مطبوعة بشخصه ومهاراته ومواهبه، يختار ما يناسب مواهبه وخبراته متحديا البيئة وقيودها وإلا مهاجرا في أرض الله الواسعة، وكم من بيئة جائرة ظالمة أقبرت أصحاب مواهب قابلة للنمو والإفادة منها بالخير.

الحرية أن تختار الإبحار إلى المستضعفين أمثال أبناء غزة المحاصرة.

الحرية أن تنزه نفسك عن الظلم وأنت في موقع القرار ولا تبتز المستضعفين بفرض مكوس الرشاوى عليهم لنيل هذا المنصب أو تلك التزكية.

إن من مشكلات الغرب اليوم ومن يسير في ركابه أنه يرى في الالتزام بوحي السماء قيداً وتخلفاً ورجوعاً إلى حال التخلف وعصور الظلام، ويرى في تحكيم العقل البشري بأهوائه وشهواته وانحرافاته وحكمته وجهله القبلة المفضلة لحضارة اليوم، وعصر الديمقراطية.

إشراقة

الزيادة والنقصان من كلام خير الأنام

أ— مذهب المجيزين

ذ. عبد الحميد صدوق

وهناك من رأى أن الزيادة والنقصان من كلام خير الأنام، لا تضر ما دامت لا تصرف المعنى، ولا تغير الحكم الشرعي، والناقل لحديث رسول الله ﷺ عالما بقواعد الإعراب، ومقاصد الخطاب.

قال الخطيب البغدادي : إن كان النقصان من الحديث لا يتغير به المعنى كحذف بعض الحروف والألفاظ، والراوي عالم واع محصل لما يغير المعنى وما لا يغيره من الزيادة والنقصان، فإن ذلك سائغ له على قول من أجاز الرواية على المعنى دون من لم يجز ذلك(1).

وقد جاء في الحديث ما يفيد إقرار ذلك، فعن ابن أكيمة الليثي، قال : قلت : يا رسول الله إني أسمع منك الحديث، ولا أستطيع أن أؤديه كما سمعت منك، بل يزيد حرفا، أو ينقص حرفا، فقال : إذا لم تحلوا حراما، أو تحرموا حلالا، وأصبتم المعنى فلا بأس"(2).

وأصحاب هذا المذهب لا يرون زيادة حرف أو نقصانه كذبا على رسول اللهﷺ ما دام الأمر له وجه في اللغة والمعنى لم ينصرف عن قصده، قيل للحسن البصري يا أبا سعيد الرجل يحدث بالحديث فلا يحدثه كما سمعه، يزيد فيه وينقص؟ فقال : إنما الكذب على من تعمده(3).

والنبيﷺ يقول : "من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار"4.

وقال إبراهيم النخعي : لا بأس أن تقدم في الحديث وتؤخر، إذا كان صلب الحديث قائما.

وقال حذيفة رضي الله عنه : إنا قوم عرب نردد الأحاديث فنقدم ونؤخر. وقال : الحسن بن أبي الحسين : لا بأس بالحديث أن يقدم أو يؤخر إذا أصيب المعنى واستدلوا لهذا المذهب بقول النبي ﷺ : "نضر الله من سمع مقالتي فلم يزد فيها"(5)، قال الخطيب : وهذا يدل على أن النقصان منها جائز، إذ لو كان لم يكن كذلك، لذكره كما ذكر الزيادة(6).

وعلى هذا يحمل كلام يحيى بن معين : إذا خفت أن تخطئ في الحديث، فانقص منه ولا تزد فيه.

وهو ما ذهب إليه مجاهد رضي الله عنه حيث قال : أنقص من الحديث ولا تزد فيه. وأصحاب هذا الرأي يرون أن الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، ما دام لم يغير الحلال إلى حرام، والحرام إلى حلال فلا حرج في ذلك. قال عبد الله بن عبيد بن عمير : إذا لم تجعل الحرام حلالاً، والحلال حراما، فلا يضرك إذا قدمت شيئا أو أخرته، فهو واحد(7).

واستدلوا أيضا لمذهبهم هذا بقول النبيﷺ "من تقول علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا، قيل يا رسول الله : وهل من عينين؟... قال : "ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا(8).

فأمسك القوم أن يسألوه فأنكر ذلك من شأنهم، وقال : "مالكم لا تسألوني؟ قالوا : يا رسول الله : سمعناك تقول: من تقول علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا، ونحن لا نحفظ الحديث كما سمعناه، نقدم ونؤخر، ونزيد حرفا، وننقص حرفا، قال : "ليس ذلك أردت، وإنما قلت :"من تقول علي ما لم أقل، يريد عيبتي، وشين الإسلام(9).

وخلاصة القول وللجمع بين المذهبين، والمقاربة بين الرأيين، ينبغي للسادة الوعاظ أن يفقهوا لغة الحديث وما يؤثر عليها من زيادة ونقصان، أو تقديم أو تأخير، ويجتهدوا في معرفة الهدف الذي وضع له كلام إمام الدعوة صلوات الله وسلامه عليه، لتتكامل عندهم معرفة اللفظ، وفقه القصد، لأن الإخلال بأحد الأمرين يحدث ضررا بمقاصد البيان الدعوي والله ولي التوفيق والسداد.

1- الكفاية في علم الرواية ج 1ص 566.
2- رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.
3- أخرجه ابن عدي في الكامل بإسناده صحيح.
4- متفق عيه
5- والحديث فيه محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر الجرجاني المعروف بالمفيد وهو ضعيف، انظر تاريخ بغداد.
6- فزيادة، "لم يزد فيه" لا تصح، وبقية الحديث صحيح وهو عند الترمذي وابن ماجة وابن حبان وأحمد والبيهقي في الدلائل والشعب وغيرهم.
7- الكفاية في علم الرواية ج -1 ص :509
8- سورة الفرقان آية 12
9- الحديث في سنده أصبغ بن زيد الوراق عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب النبيﷺ وأصبغ بن زيد الوراق هو ابن زيد ن علي الهجني الوراق أبو عبد الله الواسطي "صدوق يغرب" أفاده ابن حجر، وخالد بن كثير الهمداني قال فيه أبو حاتم شيخ يكتب حديثه، ووثقه ابن حبان، وقال فيه ابن حجر في التقريب : ليس به بأس. أنظر تهذيب التهذيب ج 3 ص 113. وخالد بن دريك ثقة لكنه مشهور بالإرسال.

نافذة المرأة المسلمة

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي

المشي بالصفات لاكتساح القلوب والجغرافيات

1-فجر السالكين:

الفجر في سريلانكا ليس هو وقت القيام لأداء واجب الصلاة بعد سماع الأذان فحسب، بل هو فاصل بين ليل طويل من الصلاة والذكر وقراءة القرآن الكريم والبكاء على الله عز وجل للتحلي بالصفات النبوية والتوفيق للجهد للدين، ولا عجب إن كان لإخوتنا السريلانكيين كل التبجيل لنا كعرب طيلة فترة مقامنا بينهم، فهم يعتبرون أننا قطعنا أشواطا بعيدة في كل العبادات للمولى عز وجل وعلى رأسها صلاة القيام، فوجب الاقتداء بنا (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) لذا فإن شيخنا المغربي الذي كان يدرك طبيعة هذا الإعجاب بالعرب ومخاطره في حالة نكوصنا وكسلنا عن السعي لاكتساب صفات المبلغين الصادقين والتي سيتكسر معها ذلك المثال النموذجي الذي يتشكل في أذهانهم حولنا، وسنخمد بداخلهم جذوة الدين المتقدة في قلوبهم بشكل يجل عن الوصف، كان لا يفتأ يذكرنا ويحذرنا من الإساءة لنموذجيتنا وعاطفة تشبثهم بالدين، تلك العاطفة التي تتجلى في اقتران عيشهم اليومي من مأكل ومشرب ونوم بالبساطة الشديدة، وعدم انشغالهم طيلة الوقت بالطبخ وتلميع الديكور والأفرشة والأغطية، حتى كما فهمنا ذلك لا يأتي في قلوبهم حب الدنيا المفرط فيتعلقون بزينتها فإذا عجزوا عن اقتناء كل مظاهرها عاشوا في حزن وضنك واستبدت بهم الأحوال المفضية إلى ذبول المشاعر الدينية في قلوبهم .

وبالعودة إلى صلاتهم الليلية فإن بساطة أفرشتهم الأرضية في جلها تجعل من تجافيهم عن المضاجع عملية سلسة كل ليلة، ينضاف إلى ذلك وصفاتهم الليلية الخفيفة المشكلة من الأرز والفواكه الجافة حتى في شهر رمضان، وكل ذلك من شأنه مساعدتهم على صلاة القيام يدعون ربهم ويرجون رحمته. فإذا صلينا صلاة الفجر والصبح تحلقت النساء السريلانكيات حولنا للاستماع إلى أحاديث رسول الله ﷺ وهن يتلقفن في كامل الصحو الكلمات النبوية الشريفة، في حين كنا نحن بالكاد نصلب قاماتنا لكي لا نغط في النوم ويعلو شخيرنا وهن بكل حنو يغطين الأخت التي تنام فينا و كما عبرن لنا عن ذلك فقد كن يكبرن فينا قطعنا لكل المسافة العملاقة بين بلدنا الإفريقي وبلدهن الآسيوي لنحمل لهن طبق الدين، وبالتالي فنومنا كقيامنا، عبادة لله عز وجل ومدعاة للتبجيل والتوقير، فتراهن يسرعن لتغطيتنا ولجم كل حركاتهن حتى ننعم بنومنا، وليتهن يعلمن أننا نحن معشر العرب في الكثير منا لا شغل لنا إلا النوم والاستراحات المتواصلة بين الاستراحة والاستراحة.

2- زكاة التحلي بالصفات:

بالعودة إلى شيخنا المغربي فلم نكن مبالغين حين خصصنا مجمل الحلقة الماضية لدرسه وتوقفنا عند غيض من فيض صفاته الباهرة الورع والشفقة والرحمة للمسلمين. وهي الصفات التي يحرص الشيخ الكريم على التذكير بها في كل درس يلقيه. باعتبار أهمية تمثل صفات أصحاب رسول الله ﷺ ومحاولة التحلي بها ما أمكن لأن في ذلك التحلي دعوة بالغة التأثير على المدعوين . وكما فصلت في ذلك إخوتي فقد كانت أخواتنا السريلانكيات لصيقات بنا في كل أعمالنا لا يكدن يفارقننا حتى في المرات القليلة التي كنا ندخل فيها مطابخهم لنطهو أكلا مغربيا ، نشتاق إليه، ونحن صباح مساء محاصرين بوجبة السريلانكيين الرئيسية: الأرز. كانت الأخوات السريلانكيات يتابعن كل حركاتنا وسكناتنا ويسألننا عن تفاصيل أعمالنا، منبهرات بكل تصرفاتنا التي وكما يوصي بذلك الشيخ يجب أن تكون كلها على طريق رسول الله ﷺ وسنته في الأذكار المسنونة عنه، حتى يكون عمل المطبخ كله عبادة لله عز وجل ويكون طعامه شفاء لمن يسمي الله ويأكل بيمينه كما كان يفعل الحبيب المصطفى، مع النية الخالصة لله تعالى في أن يكون طعام هداية ورحمة لمن يأكله.

والحرص على اتباع سنة المصطفى 24 ساعة على 24 ساعة وحده الكفيل بأن يحقق فينا بعضا من صفات أصحاب رسول الله ﷺ ويجعلنا للعباد كالشامة في الوجه كما قال سيد الخلق.

ولا غرابة، فبعيدا عن سريلانكا وبالنظر إلى تطلعات وأحوال الأمم بصفة عامة فالحنين إلى المنقذ أو الموجه المشفق الرحيم، وإلى النموذج المضحي لأجل سعادة العباد حاجة إنسانية لدى كل المجتمعات تدفع الشعوب إلى الانخراط في الأحزاب والجمعيات والجماعات، بحثا عن مخلوقات نورانية لها صفات استثنائية تتشوق إليها الأرواح المدموغة بالنفخة الربانية، ونداء الفطرة الموحدة العابدة لإله واحد أوحد هو الله سبحانه وتعالى، فإذا أصابت هذه الشعوب الخيبة في تنقيبها عن منقذيها، وما تبدى لها فيهم إلا السراب والرنين الزائف الذي لا طحين وراءه انطوت على خيباتها تلك حتى تفجرها براكين لا تبقي ولا تذر، كما وقع بالمناسبة في القطر التونسي الشقيق وفي أقطار أخرى من العالم العربي، إذ تمخض حصاد تدبير المؤتمنين على الأرزاق والأرواح عن استشراء للفساد والبطالة وتفشي الأثرة، حد إيثار أصحاب الشهادات العليا قتل أنفسهم على مواصلة معيشة ضنكا، تنعدم فيها أدنى مستويات التقدير والتكريم لعباد الله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.

وأينما تنكر المؤتمنون والمسؤولون لهذه الحاجة الإنسانية للأصفياء الأتقياء المستقيمين لقيادة سفينة العبيد إلى بر الأمان ووجد العامة أنفسهم أمام حالة الذين يقولون ما لا يفعلون كانوا كالماء الحبيس لا يزال يحفر حتى يتفجر هادرا جارفا كل ما يجده في طريقه.

وبالتالي فحين يصادف الإنسان نموذجا من هذه العينات الربانية المستقيمة تصورا وتنزيلا لا يمكنه إلا أن ينهل من شلال أنوارها. تلك الأنوار والصفات التي تجلت حقيقتها في أصحاب رسول الله ﷺ، فحلاهم الله عز وجل بحقيقة الإيمان.

ولتعودوا إخوتي القراء إلى كتاب حياة الصحابة فالمواقف النورانية المؤمنة حقا تنضح معالمها من حياة الصحابة، وكل حكاية أعجب من سابقتها في معالم الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد للرحيل. لقد اجتهد الصحابة على قلوبهم ليكون فيهم اكتمال الصفات، وزكوها بالجهد للدين في كل بقاع الأرض، فحق لهم أن يقول فيهم المصطفى «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ولولا صفاتهم تلك لما انتشر الدين في العالم، لقد تحققت فيهم الصفات الكاملة فسعوا بها لدعوة الناس إلى الخالق سبحانه، فجنوا دخول الناس أفواجا إلى الإسلام وهم يرون الصفات الربانية فيهم بيانا عيانا إذا حدثوا صدقوا وإذا عاهدوا وفوا وإذا اؤتمنوا كانوا لأماناتهم وعهدهم راعون. ويحكي الشيخ في معرض حديثه عن صفات الصحابة وضرورة التحلي بها لكسب قلوب الناس الباحثين عن الموجه أو المنقذ كما قلنا آنفا، أن مجموعة من النساء السريلانكيات البوذيات رأين ثلة من الإخوة يرافقون الشيخ في جولة دعوية وهم بملامحهم الورعة التقية، فتبعنهم وقلن لهم: نريد أن نكون مستورات مثل نسائكم فطلبوا منهن إحضار أزواجهن ففعلن، فحدثوهم فأسلموا جميعا، وكان السر في التزامهم رجالا ونساء هو تعطشهم لمخلوقات نموذجية يسعى نورها بين أيديها حياء وعفة، وخدمات ولين جانب.

وللأسف الشديد فإن صفات أصحاب الحبيب المصطفى كما جاء في حديث الشيخ لازالت مع توالي الأزمنة تبهت في القلوب حتى لم تبق إلا صورتها.

لنأخذ مثلا ملموسا عن ضياع هذه الصفات في الزمن الحاضر

يقول الشيخ : كأن الناس خلقوا للدنيا فقط وآية ذلك أنك إذا صليت صلاة الفجر لم تكد تجد في المسجد إلا القلة من الموفقين، فإذا دقت الساعة الثامنة رأيت الناس ينفرون أفواجا من بيوتهم بهمة إلى وظائفهم، وكلهم يحاذرون التأخر عن مواعيدهم الدنيوية خوف المحاسبة وخوف الاقتطاع من حوالاتهم، غافلين عن محاسبة الآخرة وديَّانها الذي لا يموت. ويضيف الشيخ بنبرة مَتألمة:

(الأجير يكون نشيطا في عمله بسبب قوة يقينه على الأجرة لكن في الجهد للدين يكون ضعيفا بسبب ضعف اليقين على الأجرة من الله).

ما أنفس هذا الكلام الذي لازالت فيه بقية في حلقة قادمة بحول الله. وحتى نلقاكم إخوتي دام لكم حب التضحية والجهد للدين.

آيون... تائبون!

11- إلى الله..!

ذة. نبيلة عزوزي

صحا قلبها، يصرخ بداخلها بقوة.. لم تعد الدنيا بكل بهرجها تغريها.. تغبط صويحباتها على تسترهن عن أهاليهن... إلا هي، فيعرف أبواها وإخوتها طريقها...!

كان ترديها في الهاوية، حين طردها أبوها ذات ليلة.. أقسم ألاّ ينفق عليها، فقد كبرت، والفتيات في سنها -حسب قوله- يجنين الأموال الطائلة!

لم تجد ملجئا إلا إلى "صالون تجميل" بجوارها.. ومن هناك ألقيت في جب الرذيلة... كان عالما سحيقا، مظلما، مقززا... فقدت فيه كل ذرة من كرامتها وإنسانيتها.. والأغرب أن أباها لم يسألها أي سؤال حين عادت صباحاً تحمل مبلغا كبيراً من العملة الصعبة...!

عاشت معه سنين.. ثري عربي... شقة وسيارة فاخرتان ورصيد بنكي... والداها وإخوتها كل يبتزها بلا رحمة... كانت تتمنى لو حدثوها يوما عن الحلال والحرام... لو عيروها.. لو ضربوها... لو... ولكن، لا حياة لمن تنادي.. كرهتهم كلهم... كرهت نفسها.. فاتحت خليلها في الأمر : إما الزواج منها أو فراقها... لكن هيهات.. هيهات... هي مجرد "شيء" يمتلكه مما يمتلك!

فقدت كل إحساس بالحياة.. اكتأبت... تخلت له عن كل ما وهبها، ولم ترضخ لمغرياته المادية، ولا لتوسّط أسرتها بعدم التخلي عنه... هربت بعيداً.. هجرته وهجرت أسرتها.. وهاجرت إلى الله عز وجل... عملت عملا شريفا بأجر زهيد... لكنه حلو.. لأنه حلال... وعاشت حياة بسيطة، لكنها سعيدة مطمئنة... لأنها في كنف الله عز وجل، وفي مرضاته... فاستعادت إنسانيتها وكرامتها، وأصبحت تحس بقيمة الحياة وعذوبتها...!

إفتتاحية (تتمة)

وميثاقه وكتابه وشرعه وفي الحديث **«إن هذا القرآن حبل الله»**. ويقول سبحانه : **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**(الأنفال : 46) فسر الريح بمعنى القوة والنصر والغلبة والفشل ضعف القوة وانحطاطها وعدم القدرة على الوقوف في وجه الخصم والعدو.

ويحذر الله سبحانه المسلمين الذين تجرهم أهواؤهم وصراعاتهم إلى الفرقة والاختلاف **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**(آل عمران : 105) والرسول ﷺ ببيانه الرائع وتوظيفه للأمثلة القريبة المأخذ فيظهر المقصود من الكلام واضحا تمام الوضوح يصور كيف يكون حال المسلمين في التحامهم فيقول **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»** ويقول ﷺ : **«مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

هذا إذا اشتكى منه عضو فكيف إذا اشتكت منه أعضاء كما هو واقع المسلمين اليوم فقد كثرت أمراضه وتعددت وتنوعت بسبب الفرقة والاختلاف ولا يمكن لهذا الجسد أن يستعيد عافيته وقوته وعزته ومجده ورفعته وأن يعافى من جميع الأمراض الفتاكة إلا بعد أن يلتقط أعضاؤه المتلاشية المتفرقة ويجمعها في وحدة قائمة على مبادئ وقيم دينه الحنيف الذي به كانت وتكون خير أمة أخرجت للناس.

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال: لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر رضي الله تعالى عنهما فقال له: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عز وجل عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته عز وجل، فإن أنت حفظت فلا يكن أحب إليك من الموت- وهو آتيك- وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت- ولست بمعجزة.

● حلية الأولياء الأصفهاني

مفاتيح الغيب

عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهم إلا الله تعالى، لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم: ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله. رواه البخاري، عن محمد بن يوسف عن سفيان.

● أسباب نزول القرآن للواحدي

وصية

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار؛ وبعد قلوب الفجار من الائتلاف، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على أرى واحد. كن يابني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عدتهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه.

من حكم الأحنف بن قيس

قال الأحنف بن قيس: الكذوب لا حيلة له؛ والحسود لا راحة له؛ والبخيل لا مروءة له؛ والملول لا وفاء له؛ ولا يسود سيء الأخلاق؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ويتجمل.

● الأمالي للقالي

من صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وصفه ضرار الصدائي فقال:

كان رحمه الله بعيد المدى، شديد القوى؛ يقول فضلاً، ويحكم عدلاً؛ يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه؛ يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته؛ وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة؛ يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه؛ يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن؛ كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبّئنا إذا استنبأناه؛ ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته؛ يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين؛ لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله؛ وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين؛ ويقول: يا دنيا، غرّي غيري ألي تعرّضت، أم إليّ تشوقت، هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير؛ آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!

● الأمالي للقالي

معارف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

روى الترمذي وصححه وابن أبي خيثمة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ما أشكل علينا- أصحاب رسول الله ﷺ- حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

وروى الطبراني عن الزهري: أن رسول الله ﷺ قال: لو جمع نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبي ﷺ كان علم عائشة أكثر من علمهن.

وروى الحكم بسند حسن عن مسروق أنه كان يحلف بالله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض. وروى الطبراني عن موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً كان أفصح من عائشة.

وروى أبو عمر وابن عساكر عن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحداً أعرف بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بفقه، ولا بطب، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة.

وروي عن عروة- وقد قيل له: ما أرواك- وكان أروى الناس للشعر- فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

وروى الإمام أحمد عن عروة- أيضاً- أنه كان يقول لعائشة: يا أماه، لا أعجب من فقهك؛ أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس؛ أقول: ابنة أبي بكر وكان أعلم- أو من أعلم- الناس بأيام العرب وأنسابها، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو وأين هو؟ فقالت: أي عرية- تصغير عروة- إن رسول الله ﷺ كان يسقم- وفي لفظ: كثرت أسقامه- آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فكانت تنعت له الألعاق، وكنت أعالجها، فمن ثَمَّ

وروى الإمام أحمد في الزهد والحاكم عن الأحنف بن قيس، قال: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى الخلفاء وهلم جرا، فما سمعت لكلام مخلوق منهم أفخم ولا أحسن من في عائشة.

●سمط النجوم العوالي للعصامي

فضائل التعليم

من الآثار في هذا الباب قول عمر رضي الله عنه: من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.

وقال بعض العلماء: العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل.

وروي أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان، فقال: اكروا لي لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم. وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به.

وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة، كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.

وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم: أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية.

وقال عكرمة: إن لهذا العلم ثمناً. قيل وما هو؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة.

وقيل: أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره.

● إحياء علوم الدين للغزالي

أبو بكر وابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما

قال خالد بن مخلد: حدثني سليمان بن بلال، قال: حدثني علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، قالت: سمعت عائشة تقول: لبست ثيابي فطفقت أنظر إلى ذيلي وأنا أمشي في البيت، وألتفت إلى ثيابي وذيلي، فدخل علي أبو بكر، فقال: ياعائشة أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن.

عن محمد بن زيد، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لبست مرة درعاً لي جديداً، فجعلت أنظر إليه وأعجبت به، فقال أبو بكر: ما تنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك، قلت: ومم ذاك، قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة. قالت: فنزعته فتصدقت به، فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفر عنك.

●حلية الأولياء الأصفهاني

من حكم الفرس القديمة

عن أبي عبيدة قال: وجد في حكمة فارس: إني وجدت الكرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صلة ومعروف سبباً، ورأيت المودّة بين الصالحين سريعاً اتصالها، بطيئاً انقطاعها، ككوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثلم أو كسر؛ ورأيت المودة بين الأشرار بطيئاً اتصالها، سريعاً انقطاعها، ككوب الفخّار، إن أصابه ثلم أو كسر فلا إعادة له.

● الأمالي للقالي

خطب ومواعظ بليغة في وصف الدنيا

عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، يحق الحق ويبطل الباطل. أيها الناس! كونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها. رواه الطبراني في الكبير.

وجاء في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله تعالى فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل. إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم أن تكونوا أمثالهم، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة أوالسعادة. أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحفوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار. هذا كتاب الله عز وجل لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم الظلمة، واتضحوا بشأنه وبيانه. إن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: "كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين". لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن لا يغلب حلمه جهله، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم. رواه الطبراني في الكبير

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوضة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع. ولا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص بحرصه، ما لم يُقدّر له؛ فمن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه. المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة.

● مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

11— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

2- قل... أو قل... واعرف معنى ما تقول

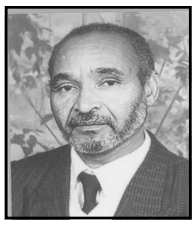

د. الحسين گنوان

أ- قل الفَرجة بفتح الفاء وسكون الراء، أو الفُرْجة بضم الفاء وسكون الراء، المهم أن تعرف معنى ما نطقت به في سياق بياني أو تواصلي معين، ذلك أن لكل حركة أو سكون دلالته ومعناه الخاص في كثير من البِنْيات في اللغة العربية، ونعني بالبنية هنا الشكل الذي تصاغ عليه الكلمة مجردة عن الحركات. وتغير معنى الكلمة بناء على تغير علامة من علامات شكلها، هو ما أشرنا إليه في الحلقة الماضية بقولنا : إن الحركة قيمة خلافية (المحجة عدد 350). والكلمات التي يتغير معناها بناء على تغير علامة من علامات شكلها أنواع كثيرة في اللغة العربية منها الثنائية أي التي تحتمل حركتين مثل ما نحن بصدده (الفُرْجة) ومنها الثلاثية مثل فعل (أمَرُ) بفتح الميم، أو كسرها، أو ضمها... وفي هذا السياق يقول محقق كتاب "الدّرر المُبثّثة في الغرر المثلثة" للفيروز أبادي صاحب القاموس : «المثلثات في كلام العرب قسمان : قسمٌ يتحد لفظه، ويختلف معناه باختلاف شكله، ومثاله (البرّ)، فإذا فتحت الباء كان معناه الرجل التقيّ، وإذا ضممتها، كان معناه القمح، وإذا كسرتها كان معناه فعل المعروف..»(ص 11) ونمسك عن التمثيل للقسم الآخر لأنه لا يعنينا في هذا السياق.

ولهذا النوع من اللحن (الخطأ) خطورة كبيرة، لأنه ينقلنا من معنى إلى معنى آخر مخالف للأول تماما، لنتأمل كلمة (البرّ) المشار إليها أعلاه في الآيتين التاليتين وهما قوله تعالى : ﴿لن تنالوا البِرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾(آل عمران : 92) وقوله تعالى : ﴿ولقد كرّمنا بني آدم، وحملناهم في البَرّ والبحر﴾(الإسراء : 70) فلو قلبنا شكل كلمة (البر) في الآيتين لفسد المعنى تماما.

ويزداد الأمر خطورة عندما نعلم أن معنى كل شكل من بين الشكلين الواردين في الآيتين وارد في القرآن الكريم أكثر من مرة!

(فالبَرُّ) بفتح الباء وارد في اثنتي عشرة آية، و(البر) بكسر الباء في تسع آيات، مما يدل على احتمال تَكرار الخطأ في القرآن الكريم بقدر عدد هذه المرات بالنسبة لمن يرتكب هذا الخطأ مرة واحدة، والسؤال إلى أي حد نهتم بمثل هذه القواعد في مقررات مدارسنا، وبالخصوص ذات التخصص في العلوم الشرعية؟!

أما بخصوص المثال المنصوص عليه في عنوان هذه الحلقة (الفرجة) فنناقشه كما يلي :

أ- الفَرْجة بفتح الفاء وسكون الراء : يبدو أن أول فرق بين الفَرجة بفتح الفاء، والفُرجة بضمها هو المجال الذي يستعمل فيه كل منهما، فالفرجَة بالفتح في المعقول : والفُرجة بالضمّ في المحسوس المشاهد، يقول الكفوي : «والفرجة بالفتح في الأمر، وبالضم في الحائط ونحوه مما يُرى»(الكليات 698). وهذا التمييز باعتبار مجال الاستعمال هو الغالب في الفرق بين دلالة الكلمتين فيما اطلعنا عليه من المعاجم، يقول الرازي «والفَرجة بالفتح :

هل الذي يكون أمام منظر يعجبه كمرج من المروج. أو لقطة من شريط سينمائي أو مسرحية، أو مبارة كرة القدم : أمام فُرجة بالضم التي تكون في الحائط أو الباب وغير ذلك من المحسوسات، أم أمام شعور بمتعة ذلك المشهد الذي يسليه، وينفس عنه الهمّ والغمّ، وما أكثر ما نسمع استعمال كلمة فُرجة بالضم أمام المناظر الجميلة والمناظر المسلية وما ذلك إلا للفُرجة التي تفصل بيننا وبين لغتنا، بل وكثير من قيمنا الحضارية؟

التّفَصّي من الهم ويُشرح معنى التفصّي بقوله : تفَصَّى : تخلص من المضيق والبلية والاسم (الفصْيَة) بالفتح وسكون الصاد.. وتفصَّى من الديون : خرج منها وتخلص»(مختار الصحاح مادة فصا) قال الشاعر :

ربما تكره النفس من الأمْـ
ـرِ له فرْجَة كحل العقال

ويقول ابن منظور : «والفَرْجة : الرّاحة من حزن أو مرض.. والفرْجَة : التفصّي من الهم، وقيل الفرجة في الأمر، والفُرجة بالضّم في الجدار والباب، والمعنيان متقاربان..»(ل ع 331/2 مادة فرج).

ب- الفُرْجَة : اتضح مما تقدم أن مجال استعمال الفُرجة بالضم هو مجال المحسوسات، ولذا وردَ عند ابن منظور في النص أعلاه «والمعنيان متقاربان». ويؤكد هذا المعنى (أي الدلالة المحسوسة لكلمة الفرجة بالضم) بقوله : «والفُرجة بالضمّ : فُرجة الحائض وما أشبهه، يقال بينهما فُرجة. أي انفراج، وفي حديث صلاة الجماعة : "لا تذروا فُرُجات الشيطان جمع فُرجة"، وهو الخلل الذي يكون بين المصلين في الصفوف، فأضافها إلى الشيطان تفظيعا لشأنها، وحملا على الاحتراز منها..»(ل ع /2 مادة فرج).

والسؤال هل الذي يكون أمام منظر يعجبه كمرج من المروج. أو لقطة من شريط سينمائي أو مسرحية، أو مبارة كرة القدم : أمام فُرجة بالضم التي تكون في الحائط أو الباب وغير ذلك من المحسوسات، أم أمام شعور بمتعة ذلك المشهد الذي يسليه، وينفس عنه الهمّ والغمّ، وما أكثر ما نسمع استعمال كلمة فُرجة بالضم أمام المناظر الجميلة والمناظر المسلية وما ذلك إلا للفُرجة التي تفصل بيننا وبين لغتنا، بل وكثير من قيمنا الحضارية؟

ويبدو أن المعجم الوسيط لم يفرق بين الدلالة الحسية والمعنوية لهذه الكلمة ولو تغير شكلها كما رأينا ولذا ألغى الفرجة بفتح الفاء وألحق جميع المعاني بالفُرجة بضم الفاء. وفي هذا السياق جاء فيه ما يلي : «(الفُرجة) [ضم الفاء مشكولة] : الشق بين الشيئين و... انكشاف الهم. و... مشاهدة ما يتسلى به. (محدثة) المنجم الوسيط 679/2 ع 1 مادة فرج).

وإذا صحت هذه الملاحظة التي ظهرت لنا بخصوص المعجم الوسيط فيما يتعلق بتنويع دلالة هذه الكلمة بتنوع شكلها، فإن الأمر يدعو إلى كثير من التأمل، ذلك الأمر لا يتعلق بالمتكلم العادي للغة العربية فيما يتعلق بهذا النوع من الأخطاء، بل يتعداه إلى مستوى الخواص. وعليه يمكن القول بأن (الفُرجة) بالضمّ أصابت جوانب كثيرة من مكونات الأمة، ولذا فهي مقابل ذلك محرومة من الفرجة بفتح الفاء، إلا من رحم الله، اللهم أبعد عنّا أسباب الفُرجة بضم الفاء، وما يقرب إليها من قول وعمل، وهيئ لنا ظروف الفرجة بفتح الفاء وما يقرب إليها من قول وعمل آمين يا رب العالمين. يتبع إن شاء الله.

إصدارات

صدر للأستاذ الدكتور الطيب البوهالي ، عن دار السلام ، ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، كتاب: " مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" في طبعته الأولى 14031هـ/ 2010 م ، من الحجم المتوسط، وفي 292 صفحة، وقد جاء الكتاب في ثلاثة أبواب ومقدمة وملاحق وفهارس.

فالباب الأول خصصه لإشكالات البحث على مستوى المنهج في استمداد المعاني من الألفاظ والألفاظ القرآنية أساسا واصطلاحاته ومصادر الدراسة المصطلحية للمصطلحات القرآنية ومنهجها، وإشكال مفهوم السلام من حيث إشكال الجذور ، وإشكال التصور بين الفكر الغربي والإسلامي،

والباب الثاني للُبِّ السلام وصفاته في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف تعريفا وصفات وتصنيفا .

أما الباب الثالث فخصصه الباحث لدراسة مفهوم السلام من حيث نموه وعلاقاته ومشتقاته وضمائمه وقضاياه من حيث أسبابه ومصادره وموضوعاته ومظاهره ومجالاته ، وذيل الباحث كتابه بمجموعة من الملاحق ضمت جردا لنصوص السلام في القرآن الكريم وموارده وإحصاء ألفاظه ومجمل معانيه ، وملحقا عن مصطلحات السلام المعرفة، إضافة إلى فهارس تكشيفية. وفي بيان قيمة مفهوم السلام واتساع دلالته يقول المؤلف"ومن الحيف، قصر مفهوم السلام على مجال العلاقات الدولية، إذ هو مصطلح متسع، فهو ثلث الإيمان في الحديث الموقوف على عمار بن ياسر، ومن شعب الإيمان في تصنيفات العلماء، وهو مصطلح يتسع ليشمل الحياة في الدارين... ولا ينفك السلام عن الإسلام في القرآن الكريم والحديث، فهو من أسبابه، ولما كان الإسلام علما على دين أمة محمد ﷺ، فإن الفطرة الصحيحة التي هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين سبب يقع عنده السلام ويمتنع بعدمه".

بِنَبْضِ القلب

الآباء بين الوظيفة البيولوجية والوظيفة التربوية

(اوْلَدْ واطْلَقْ) كلمة يرددها المغاربة كإشارة إلى تقصير الوالدين في تربية أبنائهم، والاكتفاء بالإنجاب فقط... دائما ما يردد أهل الاختصاص، أن البيت هو المدرسة الأولى التي تنمي مدارك الطفل الأولية، وتصاحبه خلال مراحل حياته وهو مراهق وشاب، وقد تتدخل أحيانا في توجهاته الفكرية والإيديولوجية، ولربما تحدد مستقبله المهني... غير أن هناك فئة عريضة من الآباء تساهلت في الشق الثاني من وظيفتها الوجودية تجاه أبنائها ألا وهي التربية...

إن كلمة (اوْلَدْ واطلق) لم تأت من فراغ، بل هي خلاصة لتجارب حية، نراها يوميا في شوارعنا وأسواقنا ومدارس الأطفال وشباب ليس لهم دور سوى إثارة الفوضى والانحراف والعنف وهلم جرا.. مقابل ذلك نجد الكثير من الآباء لم يعد يشكل لديهم البيت والعيش داخل الأسرة أي هاجس، بل إن جل أوقاتهم تهدر في المقاهي وملاعب الكرة واللغو التافه.. هنا تبرز قيمة التدين لكونها تشعر الإنسان بدوره ومسؤوليته تجاه أسرته ومجتمعه ووطنه، بل والناس أجمعين، مصداقا لحديث رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...».

شكا أحدهم للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عقوق ابنه، فلما وقف الولد بين يدي عمر رضي الله عنه سأله :

-ما الذي دفعك لعقوق والدك؟

قال له :

- يا أمير المؤمنين، أليس للأبناء حقوق على الآباء؟

- بلا

- فما هي يا أمير المؤمنين؟

- أن يختار له أمه واسمه ويعلمه شيئا من كتاب الله؟

- إ ن أبي هذا لم يحسن في أي من هذه، فلقد كانت أمي جارية لا تتغنى إلا بالكلام الفاحش، واختار لي اسم جُعَل، أما الثالثة فإنه لم يعلمني حرفا من القرآن.

هنا التفت الفاروق رضي الله عنه إلى الرجل مؤنبا :

- اذهب فلقد عقَقْتَ ابنك قبل أن يَعُقَّك.

فمتى يع الآباء والأمهات دورهم التربوي، بدل الاكتفاء بدورهم البيولوجي الذي تشاركهم فيه سائر مخلوقات الله عز وجل.

ذ. أحمد الأشهب

رؤية متوازنة

أ. د. عماد الدين خليل

إن القرآن الكريم يقدم رؤيةً للإنسان، أو تقييما له بعبارة أدق، تتميز بالشمولية والواقعية والنفاذ، على خلاف المذاهب والمبادىء الأخرى التي رفعته إلى السماوات أو انحدرت به إلى الحضيض.. كيف لا وهذا التقييم القرآني يصدر عن الله سبحانه الذي هو أعلم بمن خلق والذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟!

إن القرآن الكريم يحدثنا في أكثر من موضع عن المكانة السامقة التي منحها الله للإنسان حيث طلب من الملائكة أن يسجدوا له.. ويحكي لنا في أكثر من موضع عن تسخير العالم لهذا الكائن المتفرد ووضعه بطاقاته الهائلة وكنوزه المتدفقة في خدمته.. بل أنه يحسم المسألة بهذه الآية القاطعة ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.. وهكذا يتبوأ الإنسان مركزه المتقدم في الأرض سيدا للعالمين، فهو يُخضِع ولا يَخْضَع، يصوغ ولا يُصاغ، يخطط وينفذ ولا يُتَّخذ مجرد أداة طيعة لتنفيذ خطط الطبيعة ومتطلبات العلاقات المادية كما ترى بعض المذاهب الوضعية..

إن الذي يمسك بزمام المبادرة، الذي يبدأ الفعل ويعطيه ملامحه النهائية في هذا العالم، هو الإنسان وليست المادة بحال من الأحوال.

ومن أجل ذلك كله كان الإنسان عامة، والإنسان المؤمن على وجه الخصوص، غالياً عزيزاً عند الله لأنه كلمته الفاعلة في الأرض وإرادته النافذة في العالم.. ومن أجل ذلك كان قتل الإنسان وصده عن أداء دوره (خطأ كبيرا).. أكثر من هذا، أنه قتل للناس جميعاً، لأن جريمة القتل تجيء هنا موجهة ضد بني آدم سواء حصدت منهم واحدا أم مئات أم ألوفا ﴿من اجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾.. ومن أجل ذلك أعلن القرآن الكريم ﴿وما كان لمومن ان يقتل مومنا إلا خطئا﴾ ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه، ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾..

لكن القرآن الكريم لا يقف عند هذا الجانب من الصورة بل يحدثنا عن وجهها الآخر.. إنه كلمات الله، وهي تجيء دائما شاملةً، محيطةً، تتعامل مع (الموقف) تعاملا موضوعيا خالصا، على خلاف المذاهب والنظريات الوضعية، فتتفحصه من كافة أطرافه وتتمعن في علاقاته ومكوناته من كل زوايا الرؤية التي تقود إليه.. صحيح أن القرآن الكريم يعلن بوضوح -على المستوى الأفقي- تفضيل الإنسان على سائر خلق الله وسيادته على العالمين.. إلا أنه لا يترك مسألة التوغل العمودي في أعماق الإنسان وتكوينه الذاتي المتشكل عن نفخة الروح العلوية في قبضة الطين السفلية.. إن هذا التشكل الثنائي كما أنه يمنح الإنسان الحرية والمقدرة، ويخلق في نفسه مطامح النزوع إلى الاستعلاء، فإنه -من جهة أخرى- يشده إلى الأرض، وإلى المادة، ويقيم بينه وبين غرائزه وشهواته علاقات متشابكة ومراكز ثقل تسحبه دائما إلى أسفل مهما سعى للنزوع إلى أعلى.

إن كتاب الله، بتوغله العمقي هذا في كيان الإنسان، يحدثنا في أكثر من موضع، وبمواجهة إعلانه الأول عن تفضيل بني آدم وسيادتهم، عن نقاط الضعف والسلبية في سلوكية الإنسان.. أولاً لكي يوقفه على حقيقته فلا يشذ ولا يطغى معتقداً أنه قادر على صياغة أي شيء وإنجاز ما يريد.. وثانيا لكي يستفز فيه قوى التحدي والمقاومة والاجتياز للتفوق على ضعفه وعجزه والتوغل أكثر في قالب العالم، وهو أشد قوة وأمضى عزيمة وأعمق توحدا في نسيجه الروحي - المادي على السواء، وثالثاً لأن الإنسان - وبموضوعية تامة - هكذا خلق، يحمل في اللحظة الواحدة والموقف الواحد عناصر قوته وضعفه، ما دام قد ركب وفق هذا الأسلوب، وما دام قد أراده الله أن يكون بشرا يصارع ويقاوم في الداخل فيما يسميه الرسول ﷺ (الجهاد الأكبر) وفي الخارج فيما يعرف بالجهاد.. لا مجرد ملك يتلقى ويستلم ويطيع!! ﴿ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا﴾ ﴿إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ ﴿إن الانسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين..﴾ ﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾.

وفي سورة التين يطرح القرآن المعادلة البشرية بطرفيها ﴿.. لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..﴾ لكي يبين لنا أن هذا الضعف ليس أبدياً فينا، وأن بإمكاننا أن نتجاوزه ونتفوق عليه. ولئن جاءت المعادلة في هذه السورة على مستوى النشاط البشري كله، فإن القرآن في سورة الأنفال يعرضها محددةً في إطار الصراع والقتال ضارباً بها التفسير المادي لتقابل القوى، مؤكداً في الوقت نفسه على قوة الإنسان وعلى ضعفه اللذين ينبثقان عن تركيبه وكينونته لا عن أية فرضية خارجية ﴿ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين، بإذن الله، والله مع الصابرين﴾..

بارقة

بل الإسلام حمى الأديان الأخرى

أ.د. عبد السلام الهراس

تعرضت كنيسة بالإسكندرية إلى تخريب مع موت بعض المصلين بها، وقد سُئل الراهب الفلسطيني المحترم -أُنْسِيتُ اسمه- عن هذه الحادثة فأجاب إن أيادي إسرائيل غيرُ بعيدة من ذلك: شَنْشَنَةٌ أعرفها من أَخْزَمِ- ولكن رئيس فرنسا اليهودي الأصل علق على ذلك: بأن النصرانية محاصرة في البلاد العربية ناكرا أو جاهلا أن الإسلام حمى الأديان كلَّها، فقد عاشت في ظله حتى المجوسية، وقد كَاتَبَ حاكمٌ بالعراق عمر بن عبد العزيز في نازلة وهي أن مجوسيا تزوج ابنته فما العمل، فأجابه ما دام الأمر مباحا في دينهم فلا حق لنا في التدخل كما في عهدنا لهم، وقد حمى الإسلام النصرانية واليهودية في جميع العالم الإسلامي، في حين أن ديننا تعرض أصحابه للإبادة عندما ضعف المسلمون كما وقع في الأندلس (إسبانيا والبرتغال)، وبفضل الإسلام عاش النصارى واليهود في ظل حكم الإسلام في أمن وهناء واطمئنان، والوثائق الخاصة بمسؤولية المسلمين على الأقليات النصرانية واليهودية وغيرهما ما تزال باقية إلى الآن.

وعندما اضطُهِدَ اليهود بالأندلس لم يجدوا في غير بلاد المسلمين ملجأً، والأمر لا يحتاج إلى دليل، فهو مثبت في كتبهم معترف به في التاريخ الإسلامي، والوجود النصراني واليهودي في الشام- سوريا ولبنان وفلسطين- ومصر وغيرها معروف ومشهور.

إن الكنائس والبِيَع في أمن وسلام في ظل حكم الإسلام إبّان قوة المسلمين، وقد احترم الإسلام هؤلاء واعتبرهم من أهل الكتاب رغم ما وقع فيها من تحريف، في حين وقع بين النصارى من الحروب والفتن ما يشيب له الولدان.

إن إنكار فضل الإسلام على اليهود والنصارى لا يمكن قَبُولُه عند المنصفين منهم، ولقد كان من الواجب على حكام العرب الرد على ذلك القول الناكر للحق غيرة عليه ودفاعا عنه.

روائع الكلام

فروقات عقلية

طائر الطمع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشرك، غير أن عين الهوى عمياء.

من أعجب الأشياء أن :

تعرف قدر الربح في معاملته سبحانه ثم تعامل غيره.

وأن تعرف قدر غضبه جلّ جلاله ثم تتعرض له.

قدرات غير محدودة

سبق العلم بنبوة موسى وإيمان آسية امرأة فرعون، فسيق تابوته إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم، إلى امرأة خالية من ولد.. فللّه كم في هذه القصة من عبرة.

كم ذبح فرعون في طلب موسى من ولد.. ولسان القدر يقول : لا نربيه إلا في حجرك؟

(اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت).

الإمام ابن قيم الجوزية